الفصل الرابع

المراحل التاريخية التي مرّ بها الإستشراق وتوجّهاته البحثية

المستشرقون Oriantalists وفي بعض الأحيان ربما يدعون Arabistes (المستعربون، علما بأنه ليس كل مستشرق مستعربا) هم جماعة من المؤرخين والكتّاب والأدباء الأجانب الذين خصّصوا جزءا كبيرا من حياتهم في الدراسة وتتبع الموضوعات التراثية والتاريخية والدينية والإجتماعية والحضارية للشرق العربي والإسلامي. فصار من الضروري عليهم أن يتعلّموا اللغات الأصلية لهذا الجزء من العالم، فانكبّوا على تعلم اللغات العربية والفارسية والتركية ولغات أخرى، علما بأن هناك عددا قليلا من هؤلاء قد اعتمد في كتاباته على النصوص والمؤلفات المترجمة إلى اللغات الأوربية دون الرجوع إلى المظان الأصلية من تراثنا. وقد عدّ هذا من قبل المؤلفين الغربيين أنفسهم نقصاً. وينبغي الإشارة إلى أن هناك خلطاً واضحا، أو بالأحرى غموضاً في عدم التمييز بين نشاطات المستشرقين ودراساتهم وكتابات عدد من المبشرين ولا سيما في المرحلة الأولى من مراحل تطوّر الحركة الإستشراقية. فلقد تعلم بعض المبشرين اللغة العربية وكتبوا عن الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية وعن العلاقة بين الديانتين المسيحية والإسلامية، وأولى بعضهم اهتماما بالنواحي الجغرافية والإجتماعية. صحيح ان بعض الأفكار الإستشراقية التبشيرية ظّلت مستمرة وفاعلة، حتى القرن الواحد والعشرين من أمثال كتابات المبشر الدومنيكي جاك جوميه المولود سنة ١٩١٤، والأب لويس كارديت، أستاذ اللاهوت والفلسفة في معهد تولوز بفرنسا، والأب لامانس المتوفى عام ١٩٣٧، والأب صموئيل زويمر الأمريكي الذائع الصيت الذي أصدر عددا من الكتب فضلاً عن تحريره المجلة التي كانت واسعة الإنتشار وهي (عالم الإسلام Moslem World). غير أن الإتجاه هذا قد برز بوضوح في مدة القرن الثامن عشر والتاسع عشر؛ فكان همفري بريدو Humphery Priedeaux المستشرق الانجليزي، الذي ألف كتابا عن الرسول الكريم، كاهنا Canon، في نوريج Norwich في بريطانيا سنة ١٦٨١، بعد ذلك صار رئيس كهنة .Archdeacon وكان سيمون أوكلي Simon Ockley المستشرق الانجليزي ومؤلف كتاب (تاريخ العرب Hisroty of the Saracene) بجزأين قسّيسا هو الآخر في سوانسي في كمبردج سنة ١٧٢٠، وكان

جانجيه A.J Gagnier المستشرق الفرنسي راهبا إنجليكانيا، وصنّف كتابا عن حياة الرسول، معتمدا على نص المؤرخ أبي الفداء في كتابه (المختصر في أخبار البشر)، الذي تمّ طبعه سنة ١٧٢٣[1]. هؤلاء وغيرهم كانوا يعرفون اللغة العربية واستندوا في دراساتهم الى بعض المخطوطات الإسلامية المعروفة آنذاك. ولكنها كانت دراسات متأثرة باتجاهاتهم الدينية، كما سنأتي على ذكره فيما بعد. وعلى الرغم من وجود هذه العلاقة بين المستشرقين والمبشرين، لكنه ليس من الصحيح القول بأن كل مبشر هو مستشرق. وان تمييزا واضحا قد ظهر في زماننا هذا بين هؤلاء وأولئك؛ ومع ذلك فانه من المفيد إعادة ما قيل بأنه ليس من الصحيح أن كلّ مؤرخ أوربي هو مستشرق، إنما المستشرقون هم فقط أولئك العلماء المهتمون بتراث الشرق والذين تعلموا لغاته.

أوردنا خلال الصفحات السابقة شيئا عن الأسباب التي دفعت الكتّاب والمؤرخين الأجانب إلى التخصّص في الدراسات الإسلامية أو الشرقية، غير أنه من الضروري التعرّف على التفسيرات العربية المختلفة في هذا الصدد. فهناك رأي يحصر الدوافع الأساس لظهور الحركة الإستشراقية والاهتمام بالشرق الإسلامي بالدوافع الدينية التي تهدف إلى النيل من الدين الإسلامي والدسّ عليه وتشويه سيرة النبي والطعن على التاريخ العربي الإسلامي والحضارة الإسلامية. والمنادون بهذا الرأي لهم أدلّتهم إذ يستندون الى ما كتبه المبشرون، ورجال الدين كما ذكر آنفا، فكان هؤلاء وبدافع تعصبي وحاقد أدلوا بآراء وتفسيرات غير علمية وهي في واقعها افتراء وتهجم ومنذ المرحلة التاريخية الأولى لبداية الكتابة عن الشرق وتراثه. في حين يرى آخرون في الحركة الإستشراقية بصورة عامة هي حركة ذات دوافع سياسية إستعمارية بالدرجة الأولى وتهدف من بين ما تهدف اليه إلى تعريف الدوائر الإستعمارية السياسية بالجوانب التراثية والحضارية والتاريخية للعالم الإسلامي، وعرض المسائل والميادين التي بالإمكان إستغلالها واستثمارها لصالح تلك الدول من أجل توطيد سيطرتهم على المنطقة؛ وهؤلاء أيضا يستندون إلى أدلّة صلبة تدعم موقفهم هذا. وقد أوردنا في

---

(١) ينظر مصطفى الخالدي: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت ١٩٥٧ ص ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٥.

John A.De Novo: American Interests and Policies in the Middle East 1900-1939 pp. 9-18.

36- Holt: op. Cit., "the treament" p. 290.291.295.

العقيقي المستشرقون ٢٠ ص٥٦٥، ٥٦٩، ١٠٥٢.

الصفحات السابقة نماذج وأمثلةعن هؤلاء المستشرقين المعاصرين. بينما جعل آخرون دوافع الحركة الإستشراقية هي بالدرجة الأولى محاولة العلماء الغربيين والشرقيين الذين عرفوا بالمستشرقين لتوسيع فهمهم لتاريخ الشرق الإسلامي وتراثه وأن الحركة لا تتعدى أكثر من اندفاع لحبّ الإستطلاع والتتبع العلميين.

هذه التفسيرات وغيرها على الرغم من صحتها ومصداقية رؤاها نسبيا فإنها تمثّل حقبا ومراحل تاريخية في تطوّر الحركة الإستشراقية بما أطلقنا عليه بالإستشراق في التاريخ. فالتفسير الأول مثلا ينطبق بالفعل على طائفة معينة من المستشرقين دون غيرها، وهكذا الحال بالنسبة للتفسيرين الآخرين. والمعتقد بأن الحركة الإستشراقية قد انطلقت في نشأتها الأولى من منطلق ديني وسياسي ويصحّ هذا التفسير إذا ما دقّقنا النتاجات التي كتبها المسترقون الأوائل؛ إذ تركّزت على دراسة حياة الرسول الكريم والتاريخ الإسلامي في القرون الهجرية الثلاثة أو الأربعة الأولى، وكذلك على دراسة الفرق الإسلامية. وما أن اتسعت نتائج الثورة الصناعية المتمثّلة بالحاجة إلى أسواق لتصريف المواد المصنّعة والحاجة الماسّة إلى توفير المواد الأولية حتى أخذت الحركة تتوجّه توجّها سياسيا جنبا إلى جنب مع المشروع السياسي الأوربي والأمريكي الهادف إلى المحافظة على مواقع قويّة لضمان وحماية لمصالح السياسة الاوربية. ومع ذلك وارتباطا بما تمّ ذكره فإننا ينبغي عدم إغفال أمر مهم يتعلق بالتطوّر السريع الذي طرأ على الدراسات الإنسانية ومن بينها الدراسات التاريخية والكتابة التاريخية في أوربا على إثر الصراع المحتدّم بين العلوم التطبيقية من المعرفة الإنسانية والعلوم الإنسانية ومن بينها التاريخ منذ عصر النهضة الأوربية فصاعدا. فلم تعدّ التواريخ المقتصرة على أوربا وحدها هي التواريخ المهتم بها فقط في نظر التنويريين والرومانتيكيين بل ظهرت أفكار عن كتابة التاريخ العالمي وتجارب العالم الآخر بدلا من ذلك. من هنا كانت بعض الدراسات الإستشراقية عن التاريخ الإسلامي والشرق ما هي إلا نتيجة تطوّر وتنامي لنتائج ذلك التقدّم. ومع هذا فالأساس يظلّ باقيا بشأن الدوافع الدينية في المرحلة الأولى. أما عن الدوافع السياسية فكانت هي الدوافع البارزة في الحركة الإستشراقية. فضلاً عن ذلك فقد بدأ نشاط الغرب في العصور الكنسية والوسطى في منطقتين جغرافيتين خاضعتين للكنيسة الشرقية والغربية، وتركّزت الدراسات في هاتين المنطقتين على الجانب الديني ضد الإسلام، عندها صار هذا المؤشر موجّهاً لدراسات المستشرقين. بينما نشطت الإتجاهات العلمانية في أوربا الوسطى بتأثير من

حركات الإصلاح الديني، وفيما بعد بالنهضة العلمية فبرز تأثير العامل السياسي والتطور في مناهج البحث العلمي.

الذي يتصفح كتاب (المستشرقون) للأستاذ نجيب العقيقي يصل إلى نتيجة تشير إلى هذا العدد الغفير من المختصين من أوربا وأمريكا والشرق الذين كتبوا عن موضوعات كثيرة من التأريخ الإسلامي والتراث الإسلامي أولاً. وتشير ثانيا إلى عدم تخصّص دولة أوربية معينة دون غيرها من الدول في هذه الدراسات، فالدول الأوربية عموما قدخرجّت عددا من هؤلاء المستشرقين بماله علاقة بالتأريخ الإسلامي، غير أن هناك من هو مشهور بنشاطاته ومؤلفاته الكثيرة وعلى الضدّ هناك من هو مقلّ وأقل شهرة. لذا فقد دأبت على تصنيف اتجاهات المستشرقين ودوافعهم إلى مدارس، وأطلقت عليها المدارس الإستشراقية؛ وذلك لوجود عدد من القواسم المشتركة تربط بين كتابات ودراسات المستشرقين والكتّاب المنتمين إلى هذه المدرسة أو تلك أو هذا الإتجاه أو ذلك. ونظراً إلى صعوبة هذه المسألة لأنه من العسير أن تأتي على جميع المدارس أو الإتجاهات الإستشراقية الأوربية في هذه الوريقات من الفصل لتشعّب الموضوع وصعوبته من جهة، ولتنوع اللغات التي تمّت هذه الدراسات بها من جهة ثانية. فإننا ـ سنتناول بشكل أوسع نسبيا ـ المدرسة الإستشراقية البريطانية لأنها قد احتلت مكانة بارزة إذا ما قورنت بالمدارس الأوربية الوسطى الأخرى ولاسيما منذ نهاية القرن التاسع عشر فصاعدا. ولأنها أدت وما زالت تؤدي دوراً مهما في هذا المضمار؛ على الرغم من أن المدرسة الأمريكية للدراسات الإستشراقية ومنذ منتصف القرن العشرين قد ولدت على حسابها وحساب المدارس الأوربية الأخرى ثم تقدمت لأن تحقق مكاسب واسعة. ما ذكر سابقا لا يعني بأية حال عدم التطرّق إلى المساهمات الإستشراقية الأخرى. أو إلى مساهمات المستشرقين في دول أخرى؛ فالمعروف تاريخيا أن الإستشراق الفرنسي مثلا يعدّ من أهم المدارس الإستشراقية وأقدمها تاريخيا. فأوّل كرسي للغة العربية قد تأسّس في باريس وفي كولج دي فرانس College de France عام ١٥٣٩، وكان يشغله آنذاك المستشرق الفرنسي غليوم بوستل G. Postel وكان بوستل هذا ـ كما يذكر مكسيم رودنسون ـ قد خدم الإستشراق كثيراً وتدرّب عليه تلاميذ كثر أشهرهم سكاليجر Scaliger[1]. والمهم أن الإثنين كانا من المبشرين ويعدّان من الرّواد في الكتابة عن التراث العربي الإسلامي.

---

(١) ينظر مكسيم رودسون (الصورة الغربية) ص ٦١، كذلك .. Fuck, op. Cit., p. 36.37.38

فالحركة الإستشراقية في الغرب وبالنسبة للدراسات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي الوسيط يبدو قد مرّت بمراحل تاريخية وارتبطت بصورة مباشرة أو غير مباشرة بتطوّر العلاقات بين الغرب والشرق، وكذلك ارتبطت بمدى قوة وتأثير العامل الديني التبشيري والعالم الإسلامي تبعا لأهمية العامل الديني وتطوّر مصالح الغرب في هذه المنطقة المهمة والحيوية، ويمكن تقسيم هذه المراحل على الآتي:-

المرحلة الأولى:

وتمثّل هذه المرحلة الإتجاهات والتوجّهات الإستشراقية في دراسات المستشرقين التي ظهرت في أواخر القرن السابع عشر و الثامن عشر الميلاديين. حقيقة أن بدايات نشاط المدرسة البريطانية للاستشراق واهتمام مستشرقيها بالدراسات العربية واللغوية أولاً ثم التاريخية بعد ذلك قد ظهر في نهاية القرن السابع عشر والربع الأول من القرن الثامن عشر، ولكن ليس بالضرورة عدها تاريخيا مقارنة مع المدارس الإستشراقية الأخرى. فكما ذكر آنفا أن أول كرسي للغة العربية كان قد تأسس في الكوليج دي فرانس College de France في سنة ١٥٣٩، ثم تأسس الكرسي الآخر للغة العربية أيضاً في ليدن بهولندا عام ١٦١٣م. فضلا عن هذا فإن إسهامات إستشراقية هامة قد أنتجتها مدرستا الإستشراق الهولندية والفرنسية في حقبة سابقة للمدرسة البريطانية بل حتى قبل نشاط الإستشراق الألماني. وهنا أيضاً لابدّ من القول بأن توجّه سياسة هولندا وفرنسا نحو الشرق كان قديماً، فكان لشركة الهند الشرقية الهولندية والفرنسية الدور الفاعل تجاريا وسياسيا. وبدأت هولندا تفرض نفوذها على المنطقة فتوغلت في مياه الخليج بعد أفول نجم البرتغاليين السياسي في المنطقة عموماً في نهاية القرن السادس عشر. لذلك بات من الضروري جدّا التعرف على سمات هاتين المدرستين الإستشراقيتين وأهم إسهامات مستشرقيها.

تتصف المدرستان الفرنسية والهولندية بأن مستشرقيها الاوائل اعتمدوا اللغة العربية والأدب العربي، فكان سكاليجر تلميذ المستشرق الفرنسي بوستل[١] أستاذ اللغة العربية، وكذلك الحال بالنسبة إلى توماس آربانيوس Th. Erpenius أستاذ اللغة العربية ومؤسس مطبعة ليدن المشهورة، الذي وضع معجما عربيا لاتينيا ونشر كتاب (العوامل

(١) مكسيم رودنسن ص ٦١.

المائة في النحو) للجرجاني، ومنتخبات الحماسة لأبي تمام، كما أنه ترجم القرآن الكريم[1]. وهناك جوليوس J. Galius الذي نشر أمثال الطغرائي وأمثال الأمام علي بن أبي طالب. أما الإستشراق الفرنسي فقد أنجب بوستل Postel الذي عرف لغات عدّة منها العربية، وكتب عن قواعد اللغة العربية، وعن التوافق بين القرآن و الأنجيل. وممّا هو جدير بالذكر أن سكاليجر وآربانيوس وبوستل رجال دين وربما قساوسة، وان الأول ـ كما يذكر مكسيم رودنسون ـ كان مبشرا متحمّسا، وكان بوستل مندفعا بقوة لخدمة الدين المسيحي[2]، وهو دليل على ما ذكر آنفا من العلاقة بين بداية الإستشراق وبين الخلط والازدواجية في الدين والتبشير من جهة والسياسة من جهة أخرى. وقد يكون صحيحا الإستنتاج بأن هناك قاسما مشتركا لاهتمامات المدارس الإستشراقية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحسب التصوّر الآتي :-

أولا: ظل الإستشراق الهولندي والفرنسي مهتمّان بالدراسات اللغوية والأدبية العربية والشرقية، وهنا لا ريب من إضافة الإستشراق الألماني والإستشراق البريطاني والإستشراق الروسي الى هذه القائمة إبتداء من القرن التاسع عشر. فقد اعتمد الإستشراق الروسي في نشأته كثيراً على الإستشراق الألماني، وأستدعى القيصر مثلا المستشرق روزن الذي كان بارعاً في اللغة العربية، ووفد على روسيا المستشرق كريمسكي وفراهن، وكان الأخير رئيساً لقسم اللغات السامية[3] في جامعة زان. فنقل هؤلاء هذا الاهتمام بالميدان اللغوي لتطوير الدراسات الإستشراقية الروسية. ومن بين المستشرقين الهولنديين نشير إلى المستشرق شايد Scheid الذي ألّف كتابا حول أصول العربية، ودراسة أخرى حول إرجاع معاني الألفاظ العبرية إلى مصدر عربي. وكذلك المستشرق مرسنجة Meursinge الذي نشر كتاب (بغية الوعّاة في طبقات اللغويين والنحّاة) لمؤلفه السيوطي، والمستشرق البرث شولتنس Schultens الذي ألّف كتاباً عن اللغة العربية و تفسيرها. وفي فرنسا نشر المستشرق المشهور دي ساسي De Sacy عام ١٧٩٩ (التحفة السنية في علم العربية) ونشر (لاميةالعرب) للشنفرى، وترجم

(١) العقيقي المستشرقون ج٢ ص٦٥٤.

(٢) مكسيم رودنسن ص١٤، ينظر عن الاستشراق البريطاني واللغة العربية ١.ج. أربري المستشرقون البريطانيون، ترجمة محمد الدسوقي النوبهي، لندن ١٩٤٦، ص١٥-٢٠.

(٣) شرباتوف؛ الأستعراب في الإتحاد السوفيتي؛ العقيقي ج٣ ص٩٧٣-٩٧٧.

البردة للبوصيري. وظهر في المانيا المستشرق جوليوس ميخاليلس Mechealis وفلوجل Flugel، وبوليوس Paulus الذي كتب حول مدارس العرب النحوية[1]، ونشر كتاب التعريفات للجرجاني.

ثانيا: ومن التطورات الأخرى توجّه المدارس الإستشراقية الواسع نحو نشر المخطوطات الإسلامية وتحقيقها وترجمة بعضها والتقديم للبعض الآخر. ولكن المأخذ الأساس على أعمال المستشرقين وتحقيقاتهم خلال هذه المدة هو أن الإتجاه نحو التحقيق أو نحو نشر المخطوطات كان غير منسق أو غير منظّم إذ نجد المستشرق الفلاني ينشر أو يحقق مخطوطات تتعلق بالشعر والنحو والتاريخ والجغرافية دون التقيّد بمدة تاريخية محددة أو بموضوع من الموضوعات خلا ما قام به القليل منهم. فالمستشرق الهولندي دي يونغ P.De Jong قد نشر وحقق وقدّم لعدّة مؤلفات منها صحيح البخاري، والأنساب لأبي فضل المقدسي والأنساب المتفقة لابن القيسراني وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي[2]. والمستشرق الآخر المشهور دوزي R.R.Dozy، قد حقّق(المعجب في تلخيص أخبار المغرب) للمراكشي، ونشر (البيان المغرّب) لابن عذاري، و(نفح الطيب)، و(نزهة المشتاق) للإدريسي ولاسيما القسم الخاص بأفريقيا والأندلس. والمعروف ان دوزي والى درجة ما يونغ قد حدّدا أعمالهما بنشر المخطوطات الخاصة بالمغرب العربي والأندلس بالنسبة للأول منهما، والمخطوطات الخاصة بالتراجم والأنساب بالنسبة للآخر. وممّن يستحق الذكر من المستشرقين الفرنسيين (دي ساس) الذي نشر العديد من المخطوطات الموجودة في مكتبة باريس الوطنية Bibliotheque National وكتب عن تاريخ قدماء العرب واصول آدابهم، وحقّق عدداً من المؤلفات عن اليمن، وحقق أشعار المعري، ومقامات الهمداني ومقامات الحريري. والمستشرق كاترمير Quatermere الذي ترجّم مصنّفات الميداني وألف كتاباً عن تاريخ المغول وهو من تأليف المؤرخ رشيد الدين. وله أيضاً (منتخبات أمثال) الميداني وحقّق كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للمقريزي، وكتاب (تقويم البلدان) لأبي الفداء[3]، وكتب دراسات عن الأنباط والعباسيين

---

(١) العقيقي ج٢ ص٦٥٤، ٦٥٥، ٧٠١، مكسيم رودنسن ص ٦٢.

(٢) العقيقي ج٢ ص٦٦١، أيضاً بحث Fuck السابق بالإنجليزية "Islam" ص ٣٠٥، ٣١٠.

(٣) ن.م. ج٢ ص٦٥٩.

والفاطميين. ومن المستشرقين الألمان المشهورين سيمون فايل Weil[1] الذي ترجم كتاب (أطواق الذهب) للزمخشري، وألف ليلة وليلة، وسيرة النبي لابن هشام، وسيرة النبي لابن اسحق، ونشر كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) للأنباري، وترجم لامية الشنفرى. ولكن فايل كسب شهرة خاصة في كتابيه (حياة محمد) و(تاريخ الخلفاء) Geschichte der Califen الذي يقع في خمسة أجزاء بدءا بتاريخ الخلفاء الراشدين حتى نهاية الدولة الأموية. و تجدر الإشارة إلى المستشرق فستنفيلد Wustenfeld الذي قدّم خدمات جليلة للتراث الإسلامي بتحقيقاته الكثيرة فقد حقّق ونشر كتاب (طبقات الحفّاظ) للذهبي، وكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(تقويم البلدان) لأبي الفداء، وكتاب (اللباب في معرفة الأنساب) لابن الأثير، و(تهذيب الأسماء) للنووي، و(البيان والإعراب عمّا في أرض مصر من الأعراب) للمقريزي، و(المشترك) لياقوت الحموي، و(المعارف) لابن قتيبة، و(الإشتقاق) لابن دريد وعدداً آخرمن الكتب عن تاريخ مكة[2]. أما ما قدّمته مدرسة الإستشراق الروسية فهو قليل إذا ما قورن بما ذكر من إسهامات المدارس الأوربية، فقد ترجّم سابلوكوف Sabloukov القرآن الكريم، ونشر بولدريف Boldyrev معلقتي الحارث بن حلّزة اليشكري، ومعلقة عنترة، وحقّق فراهن (لامية العجم) للطغرائي، و(لامية العرب) للشنفرى، والقسم الخاص بالروس والسلاف من رحلة ابن فضلان في معجم البلدان لياقوت الحموي، ونشر المستشرق روزن V. R. Rosen تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي، وتاريخ حبيب المنبجي، علما بان الإستشراق الروسي يتصف بسمة بارزة تتمثل بالتوجه المكثف نحو تحقيق ودراسة كل ما يتعلق بآسيا الوسطى والشرق الإسلامي فالمستشرق خانيكوف Khanikov قد كتب عن مملكة بخارى، وآسيا الوسطى، ودرس المصادر العربية والفارسية والتركية بخصوص بحر قزوين. وكتب المستشرق روزن عن المصادر العربية المفيدة حول تاريخ روسيا والسلاف، وترجم

---

(١) ينظر:

Dunlop: "Some remarks on Weil's History" p. 316-322.

نجيب العقيقي ج٢ ص٧٠٨، ٧١٤.

(٢) العقيقي ج٣ ص ٩١٨، ٩٣٣.

أيضاً كتاب ذيل تاريخ ابن البطريق بشأن الملك البلغاري باسيل(١).

اما الإستشراق الأمريكي فلم ينتج في هذه المرحلة إسهامات كثيرة خلال هذه المدة والواقع أنه اعتمد بصورة رئيسة على ما قدّمه الإستشراق الأوربي بصورة عامة. فهناك المستشرق واشنطن أرفنج W. Irving الذي كتبَ كتاباً عن الرسول الكريم، والمستشرق كالفرلي E.E.Calverley، الذي كتب عن القرآن الكريم(٢) وله كتاب بعنوان النبي محمد، وكتاب حول الإسلام، والمستشرق جورج بوش الذي صنّف كتابا بعنوان حياة محمد متأثرا بشكل كبير بكتاب القس البريطاني همفري بريدو. ولم تكن مساهمة الإستشراق البريطاني في مجال التأليف وتحقيق المخطوطات والبحث فعّالة خلال هذه المدة مقارنة بما تمّ إنجازه من دراسات تاريخية من قبل المستشرقين الهولنديين أو الألمان أو الفرنسيين؛ فلم يظهر مستشرقون يتمتعون بسمعة علمية عالية أمثال دوزي، وفلوجل وفايل، ودي ساس، وكاترمير، ودي سلان. ومع ذلك من المرجح أن المدرسة البريطانية للإستشراق قد أنجبت في نهاية القرن السابع عشر تقريبا مستشرقين اهتما باللغة العربية والدراسات العربية، فضلا عن أنهما كتبا عن التأريخ. هذان المستشرقان هما أدوارد بوكوك Pocock الذي ترجم كتابين عربيين يتعلقان بالتأريخ الإسلامي لمؤلفين مسيحيين إلى اللغة اللاتينية. وقد قدّم بوكوك مقدّمة تناولت قضايا مختلفة من التأريخ العربي الإسلامي. وكانت هذه المقدمة والتعليقات والشروح باللغة اللاتينية أيضاً(٣). فضلا عن ذلك فإنه قد حقّق ونشر لامية العجم للطغرائي، ومعجم الأمثال للميداني. أما المستشرق الآخر فهو همفري بريدو H. Priedeaux، وكان شغوفا جدا بالتاريخ العربي الإسلامي ويجيد العربية والآرامية والعبرية وقد نشر تأليفه الذي اشتهر به في بريطانيا، مع ما فيه من تحامل كبير على الرسول الكريم يتضح من عنوان الكتاب نفسه وهو The True nature of imposture fully displayed in the life of Mahomet ويشير البروفسور هولت Holt إلى غرض هذا

---

(١) ن.م ج٣ ص١٠٠٩ -١٠١٠، أيضاً مقدمة كتاب أرفنج (حياة محمد) ترجمة علي حسني الخربوطلي، القاهرة ١٩٦٦.

(2) B. Lewis: "British Contributors" in BSOAS pp. 25-26, Holt: "The Study of Arabic historian..." in BSOAS (1957)P. 445-7.

آربري المستشرقون البريطانيون، ترجمة محمد الدسوقي، لندن ١٩٤٦ ص ١٦.

(3) Holt: op cit., "the treatment...p. 291.

الكتاب وسعة انتشاره إنما يرتبطان بالجدل اللاهوتي الذي ساد آنذاك في القرن السابع عشر. فيرى بريدو مانصّ ترجمته ((إن ما ساد الكنيسة الشرقية من جدال قد أنهك صبر وطول أناة الربّ فبعث لهذا السبب السراسين (ـ أي العرب ـ) ليكونوا أدوات غضبه))(١). وما يؤخذ على الكتاب اعتماده على عدد قليل جدا من المؤلفات الإسلامية أهمّها وأعمّها تاريخ ابن العبري وتاريخ ابن المكين وكلاهما قد ترجم إلى اللغة الانجليزية، ومع ذلك فان الكتاب ذاع صيته وطبع مرتين ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية عام ١٦٩٨.

ولم تتسع مساهمات المستشرقين البريطانيين كثيراً خلال القرن الثامن عشر إذ أنتجت أيضا مستشرقين آخرين تخصّصا في دراسة التأريخ الإسلامي أولهما سيمون أوكلي Simon Ockley، والآخر جورج سيل George Sale فقد عاش أوكلي المدة من ١٦٧٨ ـ ١٧٢٠(٢). وكان قد تتلمذ على يد المستشرق المذكور آنفا أدوارد بوكوك، وعيّن أستاذاً في كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج. ويقول عنه الأستاذ هولت إنه مستشرق مؤرخ بخلاف بريدو وذلك لاعتماده على المصادر العربية الأصلية في تأليفه الذي أطلق عليه عنوان (تاريخ السراسين The History of the Saracen)(٣).

ومن الملاحظ ان بريدو أيضاً قد أطلق على العرب هذا التعبير الذي يتضمّن تحاملا على العرب؛ إذ فالمعروف إن لهذا الاستعمال دلالات وتفسيرات متعددة وأحسب استعمال بريدو وأوكلي له كان متقصدا، فقد يراد من استعماله كلمة مركبة من Sara أي سارة زوجة إبراهيم و Cene أي عبيد (عبيد سارة) أي العرب، وقد تكون الكلمة تحريفا للشرقيين (السراسين الشرقيين)، ويحتمل أيضا المراد بالكلمة السرّاقين (السراسين السّراقين). المهم فقد تردّد هذا الاستعمال في كتابات المؤرخين الكلاسيكيين اليونان والرومان، ويهدف من ورائه الإشارة إلى القبائل البدوية التي كانت تغير على القوافل التجارية في بلاد الشام. وكتاب أوكلي يتألف من جزأين خصص الأول منهما لدراسة حركات الفتوح الإسلامي في سوريا ومصر وبلاد فارس، ويمتد ليشمل موضوعات أخرى كخلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن

---

(1) Ibid., pp.295-98.

(2) Ibid., p295.

(3) Holt: op cit. P. 295.

عفان[1]. بينما يتناول الجزء الثاني الحقبة التاريخية من خلافة الأمام علي بن أبي طالب حتى حقبة حكم عبد الملك بن مروان. وكان مضطرا لإنهائه في هذه المدة لظروف خاصة[2]. ولابد من القول بأن أوكلي هو الآخر كان متحاملا على الرسول الكريم في كتابه هذا مع انه اعتمد على عدد أكبر من المصادر الإسلامية نظير فتوح الشام للواقدي، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، للسيوطي، والجوهر الثمين لابن دقمان. إما المستشرق الآخر فهو جورج سيل، المتوفى عام ١٧٣٦ وكان شغوفا بالدراسات العربية والإسلامية[3]، وصحّح للإنجيل باللغة العربية، كما انه أنشغل خلال المدة من ١٧٢٦، وحتى ١٧٣٤ بترجمة القرآن الكريم. وبالفعل فقد صدرت هذه الترجمة عام ١٧٣٤[4]، وتعدّ من أفضل الترجمات التي ظهرت حتى ذلك الوقت في أوربا. وأفضليتها لا تقتصر على أنها أوضح الترجمات الانجليزية والأوربية المعروفة ولاسيما ترجمة خوان السيكوفي أو ترجمة روبرت الإنكليزي Robert the Englishman، أو حتى ترجمة الكسندر روس Alexander Ross[5] بل لأن سيل قد اعتمد التفاسير الإسلامية أمثال تفسير السيوطي وتفسير البيضاوي، وصارت ترجمة سيل واسعة التداول والأنتشار. ويذكر ان فولتير قد ذكرها في مؤلفه القاموس الفلسفي[6]. وما تمتاز به هذه الترجمة أن المؤلف قدّم مقدّمة تناولت موضوعات إسلامية مختلفة كالدين الإسلامي وشرح أركانه، وأصل الإسلام، وخصّ أحد الفصول بالجاهلية وفصلا آخر عن رسول الله. كما انه عرّج على الموضوع الذي استهوى الكثير من المستشرقين فتناولوه كثيرا في كتاباتهم ألا هو الفرق والمذاهب الإسلامية[7]. فضلا عن هذا فان سيل قد ساهم في تأليف دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة القديمة) وحرّر

---

(1) Ibid. pp.295-96.

(٢) مكسيم رودنسن: المصدر السابق ص ٦٧، كذلك Holt المصدر السابق ص ٢٩٨-٣٠٠ آربري المستشرقون البريطانيون ص ١٦.

(3) Holt, p. 299.

(٤) مكسيم رودنسن ص ٦٧، أيضاً Holt ص٣٠١.

(٥) يعقوب أفرام منصور: تطوّر الاستشراق الإنكليزي مجلة المعرفة ص ٩٧.

(6) Holt, p. 299.

(٧) يعقوب أفرام منصور، المصدر السابق ص ٩٧.

فيها عددا من المقالات المتعلقة بالعرب والتاريخ العربي الإسلامي[١]. ويمكن القول بأن سيل لم يكن متحّزا ضدّ الإسلام؛ حتى ان المؤرخ المشهور جيبون Gibbon مؤلف التأريخ المشهور (ظهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية) وصفه بأنه نصف مسلم[٢]. وسيل نفسه بخلاف من تقدمه من المتعصبين أمثال بريدو قال بأن العرب هم خير مصدر للكتابة عن التاريخ الإسلامي، كما إن المفسرين المسلمين هم الأفضل في تفسير آيات القرآن الكريم[٣].

ثالثا: ومن التوجهات الملحوظة التي تميّز بها الإستشراق الألماني بالدرجة الأولى ثم الفرنسي هو التوجّه نحو دراسة الموضوعات العلمية في الحضارة الإسلامية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك المستشرق الفرنسي كاراديفو Cara De Vaux الذي اهتم بالرياضيات فترجم فصلا من كتاب التذكرة للطوسي، وكتابا لأبي الوفاء البوزجاني، وهناك أيضاً المستشرق الألماني فوبكه Woepcke الذي حققّ ونشر رسائل عربية عدة في موضوع الجبر أمثال (براهين الجبر والمقابلة) للخيام، وكتاب (الفخري في الجبر والمقابلة) للكرخي، و(خلاصة الحساب) لبهاء الدين العاملي، ورسالة النيسابوري[٤] عن (مسائل الجبر والمقابلة)، بينما كتب شوي Schoy عن الحسن بن الهيثم، وعن ابن يونس. ومما يسترعي الإنتباه هنا أن عدداً من هؤلاء المستشرقين قابلوا بين نتاجات المسلمين العلمية والنتاجات اليونانية هادفين بذلك إلى إظهار أثر العلماء المسلمين في الحضارة العربية الإسلامية.

رابعا: وهناك سمة أخرى تميّزت بها المدارس الإستشراقية الأوربية بصورة عامة وهي ارتباط الدراسات الإستشراقية بالتبشير وخضوعها للتأثير الديني، وقد وقفنا على هذا الموضوع في الصفحات السابقة، لكن من المفيد هنا ان نذكر إستمرارية فعالية هذا الإتجاه وأثره في الإسهامات الإستشراقية حول التأريخ العربي الإسلامي بشكل خاص. يقول بيترجران عن الإستشراق الأمريكي ان بدايته كانت تتصل بارتباطين الدين

---

(1) Holt, p. 302.

(٢) العقيقي المصدر السابق ج١ ص٢٦٣، ج٢ ص٦٩٨.

(٣) بيتر جران: "الاستشراق الأمريكي" في مجلة الثقافة عدد ١٩٧٩/٤ ص ٥٩.

(٤) العقيقي ج٣/ ١٠٠٩.

والتجارة[1]. وخير من يمثل ذلك المستشرق أدوين كالفرلي E.E.Calverley الذي عيّن عضوا في البعثة العربية التي نظّمتها الكنيسة في أمريكا فكتب عن القرآن الكريم والرسول محمد وعن العبادة في الإسلام[2]، وكان المستشرق الهولندي آربانيوس متخرجا في كلية اللاهوت، وكذلك الحال بالنسبة إلى جوليوس والبرت شولتنس والمستشرق الفرنسي بوستل. أما روسيا فإن معهد الرهبان الأرثوذكسي لقازان هو الذي اهتم بالعربية والدراسات العربية لمحاولة إجراء مقابلة بين القرآن والإنجيل[3]. وفي جامعة خركوف عيّن أول أستاذ لتدريس العربية وهو راعي الكنيسة المحلية وهو بيريندت[4]، وقد أشرنا إلى ارتباط بوكوك وبريدو وأوكلي البريطانيين بالدين والتبشير. وبروز هذا التأثير في كتاباتهم عن حياة الرسول الكريم وعن تاريخ الإسلام. هنا أيضاً لابد من الإشارة إلى أن بعض المستشرقين البريطانيين والألمان قد تأثروا كثيرا بالدين الإسلامي إما حقيقة أو ظاهرا،أمثال بوركهاردت J.L.Burekhardt المتوفى عام ١٨١٧، فقد زار مكة في أثناء تجواله في بعض البلدان العربية، وهناك أيضا كويلم Kwelem الذي تبنى لقب عبد الله الإنجليزي وأدوارد بالمر E.H. Palmer المتوفى عام ١٨٨٢ وعرف أيضا بالشيخ عبد الله، وكان يتقن العربية حتى أنه كثيرا ما كان يعبّر بها عن أفكاره، وقرض بها الشعر وقد ألف بالمر عددا من الكتب، منها كتاب في قواعد اللغة العربية، الذي انتهج فيه نهج النحاة القدامى، وكتاب هارون الرشيد وكتاب عن التصوف، كما انه ترجم القرآن الكريم[5].

خامسا: وإلى جانب ذلك فإن عددا من المستشرقين كانوا يجمعون بين الصفتين السياسي والمستشرق مما يوضح الفكرة التي قد طرحت سابقا عن ارتباط بدايات الإستشراق وخضوع الحركة للتوجه السياسي. فكان كالفرلي الأمريكي مستشارا

---

(١) مكسيم رودنسن: المقالة السابقة ص ٧٧، العقيقي ج٣ ص٩١٨.

(٢) مكسيم رودنسن ص٧٧، العقيقي ج٣ ص٩١٨-٩١٩.

(٣) يعقوب أفرام منصور الاستشراق الإنكليزي ص ٩٨، ١٠٢، العقيقي ج٢ ص٤٧٩، ٤٨٢، آربري: المستشرقون البريطانيون، ترجمة د. محمد الدسوقي، لندن ١٩٤٦، ص٢٢.

(٤) بيتر جران: المقالة السابقة ص ٦٥.

(٥) العقيقي ج٢ ص٤٧٤، مصطفى الخالدي: المصدر السابق ص ١٤،١٦،٤١، وأنظر عن شركة الهند الشرقية د. مصطفى عبد القادر: (شركة الهند الشرقية ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي) مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة بجامعة الكويت (عدد١٥) ١٩٧٨.

للشؤون العربية في شركة الزيت العربية والأمريكية. فيذكر بيتر جران أن عددا ممن احتّل مكانة في حقل الإستشراق في الثمانيات من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية كان يعمل في الأجهزة الإستعمارية[١]، ويتمثّل هذا التوجه بشكل بارز في الإستشراق البريطاني إذ إن عددا من المستشرقين كانوا موظفين في شركة الهند الشرقية أو ممثلين دبلوماسيين لحكومتهم في بعض البلدان الإسلامية. ولقد أدت شركة الهند الشرقية البريطانية دورا أساساً لا في المجالات الإقتصادية فحسب، بل في الشؤون السياسية للمنطقة ومنذ القرن السابع عشر الميلادي. فكان كلادوين Gladwin موظفا فيها وعمل في جيش البنغال وكتب عن بلاد فارس[٢] وكان كلود لويس جيمس James ممثلا للشركة ثم صار المقيم البريطاني في بغداد [٣]، وكان لومسدن Lumsden قد بعث من قبل الشركة لتعلم اللغات العربية والفارسية، وعيّن وكيلا لقسم الصحافة[٤]، وكان برشارد W.Berchard قنصلا بريطانيا في تونس، وريتشارد برتون Burton كان في الجيش البريطاني في الهند ثم صار قنصلا[٥]، وغيرهم كثر.

---

(١) العقيقي: ج٢ ص٤٧٦، آربري المستشرقون البريطانيون ص ٦.

(٢) ن.م. ج٢ ص٤٧٧.

(٣) ن.م. ج٢ ص٤٧٨، آربري المستشرقون البريطانيون ص٢٠.

(٤) ن.م ج٢ ص٧٢٤، ٧٦٢.

(٥) ينظر شرباتوف الاستشراق في الإتحاد السوفيتي، العقيقي ج٣ ص٩٧٠.

المرحلة الثانية:

شهد العالم الغربي تطوّرات سياسية واقتصادية واجتماعية كبيرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبلغت ذروتها إبان الأربعين سنة الأولى من القرن العشرين. ومن هذه التطوّرات:- زيادة الحاجة إلى الأسواق بغية تصريف المواد المصنّعة ومن ثم، الحاجة الماسّة إلى الأسواق التي تتوفر فيها المواد الأولية في العالم غير المتقدم صناعياً كمواد أولية ضرورية للتصنيع الأمر الذي أدّى إلى ظهور تنازع حادّ بين الدول الأوربية نفسها من أجل الإستحواذ على أكبر حصّة ممكنة من المناطق الغنية المكتشفة. فانسدل الستار على قوى كانت تؤدي دورا سياسيا كبيرا كالبرتغاليين والهولنديين بينما أخذت تظهر إلى الوجود قوى أوربية أخرى منافسة ومتنافسة كالبريطانيين والفرنسيين والألمان والروس والأمريكان. وكانت السيادة خلال هذه المدة إلى بريطانيا بالدرجة الأولى، التي استطاعت استغلال واستعمار المناطق الغنية في العالم الإسلامي ثم بعدها كانت فرنسا وألمانيا. ولا شكّ في أن ضعف الإمبراطورية العثمانية في مجابهتها لمثل هذه التدخلات والأطماع السياسية الأجنبية قد ولّد فراغا أدّى إلى تصعيد هذه التنافسات وتحريكها.وفضلاً عن بروز هذه الظاهرة الإستعمارية العسكرية الإقتصادية فان تطوّرا آخر متمثلا بتصاعد الإتجاهات القومية في أوربا قد ساعد هو الآخر على تزايد الصراعات الدولية. كما انه خلال هذه المرحلة برزت الصهيونية بوصفها حركة شوفينية إعتدائية مستغّلة تلك الصراعات الإستعمارية لصالحها واستعمارها جزءا من الوطن العربي. هذه التطوّرات السياسية قد أثرت تأثيرا كبيرا على توجيه الحركة الإستشراقية، فخضعت هي الأخرى إلى مثل هذه المؤثرات وذلك لارتباطها بسياسة الدولة التي تنتمي إليها. ولا عجب إذا ما قلنا إنهذه المرحلة التاريخية قد هيأت وأنتجت إتجاهات جديدة في كتابات المستشرقين عن تاريخنا العربي الإسلامي نابعة من الظروف السياسية الجديدة وبالإمكان تشخيص هذه الإتجاهات على الوفق الآتي:-

١ ـ بينما كان نشاط المدارس الإستشراقية في المرحلة التاريخية السابقة موجّها وباهتمام نحو الدراسات اللغوية بوصفها المرحلة الأولى لتعلم اللغة العربية، فإننا نجد ضعف هذا الإتجاه خلال هذه المدة. مع العلم بأن الإستشراق الألماني ظلّ مهتّما بهذه الدراسات والدراسات الأدبية كالمستشرق نولدكه Noldeke الذي أنتج من بين ما أنتجه من إسهامات كثيرة مساهمته في قواعد اللغة العربية الفصحى، ودراسات

في قواعد اللغة العربية الفصحى، ومعجم اللسان العربي الفصيح. كذلك كتب براونلخ E. Braunlich عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وحقّق ونشر كتاب العين، وكتب عن سيبويه وعن اللغة العربية. وكتاب العين يعدّ أول معجم لغوي عربي. فضلا عن هذا هناك المستشرق المشهور آدم متز Metz وقد كتب عن الأدب العربي والشعر العربي[١]. وكذلك ظلّ الإستشراق الروسي مهتّما باللغة العربية والأدب العربي أمثال ليكيا شفيلي Lekiashvilli[٢] التي كتبت عن جذور اللغة العربية، ونشأة أشكال جمع التكسير. وفي فرنسا اعتنى المستشرقون بالدراسات اللغوية في شمال أفريقية فكتب ديستنج Destaing عن اللهجة البربرية، وألّف باسيه Basset عدة مقالات عن اللهجة البربرية[٣].

٢ ـ في الجانب الآخر إستمرت الحركة الإستشراقية تولي اهتماما غير قليل نحو اكتشاف ونشر المخطوطات العربية ودراستها وتحقيقها لكن التحوّل الجديد الذي طرأ هنا هو تجاوز العشوائية في انتخاب المخطوطات الإسلامية والاهتمام بالمخطوطات التي تتعلق بحقول متعددة؛ وقد شارك عدد من المستشرقين البريطانيين في هذا المجال إذ حقّقوا بعض المخطوطات وترجموا البعض الآخر إلى اللغة الإنجليزية؛ فالمستشرق أمدروز Amedroz المتوفى عام ١٩١٧ قام بتحقيق نخبة مهمة من التواريخ الإسلامية أمثال تجارب الأمم لمسكويه، وحقّق ونشر ((تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء)) لهلال الصابي، و((ذيل تاريخ دمشق)) لابن القلانسي، وكتب عدة بحوث عن هذه الموضوعات الإدارية والإجتماعية منها مثلا((التذكرة)) لابن حمدون، والأحكام السلطانية للماوردي، والإدارة العباسية في تجارب الأمم، والوزير أبو الفضل بن العميد في تجارب الأمم، ودراسة كتاب تجارب الأمم[٤]. وهناك أيضا المستشرق لي سترنج Le Strange الذي خصّص جزءا من تحقيقاته ودراساته عن التأريخ الجغرافي للمشرق الإسلامي، فكتب كتابين ما زالا يعتمد عليهما الأول عن

---

(١) العقيقي ج١ ص٢٢٧، ٢٥١.

(٢) العقيقي ج٢/ ص ٥١٠، ن.م. ج٢ ص٤٩٥، أيضاً.

Sami Dahan:" The Origin and Development of the Local Histories of Syria " in Historians of the Middle East, p. 108.

(٣) ن.م. آربري المستشرقون البريطانيون ص ٢٤.

(٤) العقيقي ج٢ ص٦٦٢، ٦٦٥، ٦٦٧.

((بغداد عاصمة الخلافة العباسية)) والآخر ((بلدان الخلافة الشرقية))، وفضلا عن ذلك فانه كتب أيضاً عن ((فلسطين في كتاب أحسن التقاسيم)) للمقدسي، و ((وما بين النهرين)) لابن سرابيون (سهراب)، ((ونزهة القلوب)) للمستوفي القزويني، ((وفارس نامة) لابن البلخي، وبلاد فارس، والعراق تحت الحكم المغولي[١]. أيضا لابد من تسمية المستشرق المبشر مرغليوث Margolioth الذي حقّق ونشر عددا من الكتب الأدبية كمعجم الأدباء لياقوت الحموي، والحماسة للبحتري، والأنساب للسمعاني، ونشوار المحاضرة للتنوخي، وترجم كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي، وكتاب مختارات من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي[٢]. من هذا وغيره يمكننا القول بأن الإستشراق البريطاني شهد تحوّلا نوعيًا وكميا إذا ما قورن بنشاطه في المدة التاريخية السابقة.

والمهم أن بريطانيا خلال هذه المرحلة صارت سيدة الإستعمار الأوربي والعالمي وتركّزت اهتماماتها الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية تجاه منطقة الخليج والجزيرة العربية وبلاد فارس والهند. ولم يقتصر الأمر على الإستشراق البريطاني واتجاهه نحو التحقيق ونشر المخطوطات فحسب بل إن الإستشراق الهولندي قد أنتج عددا من المستشرقين المشهورين أمثال فان فلوتن Van Volten، ودي غويه De Goeje وفنسنك Wensinck ممن اهتم ببعض الموضوعات المتنوعة فتوجّه اهتمام فان فلوتن نحو نشر بعض رسائل الجاحظ وكتبه كالمحاسن والأضداد، والبخلاء، والنابتة، والتربيع والتدوير[٣]، بينما نشر ديغويه مجموعة الكتب الجغرافية الإسلامية المهمة جداً[٤]، وعددا من كتب الرحلات. واهتم فنسنك بحديث رسول الله فوضع فهرساً للحديث وألفاظه[٥]. وهو عمل متميّز يعتمد عليه كثيرا حتى الوقت الراهن. ومن جهة

---

(١) وتتضمّن هذه المجموعة كتاب المسالك والممالك لأبن خرداذبة، والمسالك والممالك لأبن حوقل، والبلدان لأبن الفقيه الهمذاني، والأعلاق النفيسة لأبن رسته، ومسالك الممالك للأصطخري، وفتوح البلدان للبلاذري، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، والبلدان لليعقوبي.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي/ ليدن ١٩٣٦.

(٣) العقيقي ج١ ص٢٢٦.

(٤) ن.م. ج١ ص٢٤٥.

(٥) ن.م. ج٣ ص٩٤٣.

ثانية فإن الإستشراق الفرنسي قد اهتم في مجال التحقيق والنشر أيضاً بما يتعلق بمصر وشمال إفريقيا وسوريا فدرس كازانوفا Casanova الخلافة الفاطمية وترجم كتاب خطط المقريزي، وألف عن تخطيط مدينة الفسطاط. ونشر دي مونيلنسكي مصنفات المزاب البربرية، وحقّق نصوصا بربرية وحقّق كتاب تاريخ الأئمة الرستمية بتاهرت لابن الصغير. وترجم فاجنان Fagnan (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) للمراكشي، ودرس الموحدين وبني حفص، للزركشي، والبيان المغرب لابن عذاري، وحقّق الجزء الخاص بالمغرب وأسبانيا في تاريخ الكامل لابن الأثير. وحقّق بلوشيه Blochet تاريخ حلب لابن العديم، وتاريخ مصر للمقريزي(١).

أما المستشرقون الروس فاهتموا كذلك بتحقيق التراث المتعلق بالمشرق ومن أ هم هؤلاء المستشرقين المستشرق البارع بارتولد Barthold الذي بلغت إسهاماته بما يزيد عن (٤٠٠) أربعمائة إسهام بين نشر وتحقيق ودراسة نظير:- دراساته عن تركستان، وإيران، وآسيا، وتركيا، ومغول الهند، وأتراك آسيا الوسطى(٢). واهتم كريمسي Krymsky بنشر وتحقيق وترجمة عدد من المخطوطات والدراسات عن الأدب العرب. وركّز المستشرق كاشتاليف Kashtaleva في دراساته عن القرآن الكريم(٣).

وبرز خلال هذه المرحلة الإستشراق الأمريكي لا بصفته إستشراقيا مستقلا أكثر من أنه معتمد اعتمادا كبيرا ـ كما هو الحال في بدايات الإستشراق الروسي ـ على أوربا. وقد نقل هؤلاء المستشرقون الاهتمامات نفسها التي كانوا يهتمون بها في بلدانهم الأصلية حينما انتقلوا عملاً وسكنا إلى الولايات المتحدة. فوفد إلى أمريكا المستشرق الألماني غوستاف غرونباوم Grunebaum، ونشر عددا من الدراسات عن الإسلام(٤). وانتقل إليها فانديك الهولندي، ورتشارد جوتهي Gottheil الألماني، ورودولف برونو .Brunnow وجاءها في خمسينيات القرن العشرين جورج سارتون الألماني ونبيهة

(١) ن.م. ج٣ ص٩٤٥، ٩٤٦.

(٢) بيتر جران: الاستشراق الأمريكي ص ٧٣، ٧٥، العقيقي ج٣ ص١٠٢٠.

(٣) العقيقي ج٣ ص٩٩٣، ٩٩٥.

(٤) وقد ترجم كتاب (السيادة العربية) إلى اللغة العربية الدكتور حسن أبراهيم حسن، القاهرة ١٩٣٣، العقيقي ج٣ ص٦٦٢.

عبود العربية وويتك Witteck الألماني[1]، وهم مستشرقون أوربيون وعلماء عرب سنقف على ذكرهم مرّة أخرى فيما بعد.

لذا كانت الاهتمامات الأولى للإستشراق الأمريكي موزّعة بين الاهتمام في الدين الإسلامي والقرآن الكريم إلى العقائد والعلوم. ولكن الإستشراق الأمريكي قدّم مساهمات كبيرة في التحقيق ونشر المخطوطات الإسلامية؛ غير أنه أسهم كثيرا في ترجمة العديد من الرسائل والمؤلفات الإسلامية في ذلك المجال. علما بأن هذا لا يعني عدم مساهمة الإستشراق الأمريكي في حركة النشر بالمرة.

٣ ـ وعلى الرغم من أن مستشرقي المدة السابقة قد اهتموا بالعقائد الإسلامية والدين الإسلامي وحياة الرسول، لكن من الملا حظ خلال هذه الحقبة التاريخية تصاعد اهتمام المستشرقين بشكل ملحوظ بمثل هذه الموضوعات. وهي مسألة لها أهمية خاصة إذا ما التفتنا إلى الظروف السياسة التي سبقت الحرب العالمية الأولى أو التي تلتها ومحاولات الدول الأجنبية تثبيت سيطرتها على المناطق التي تتطّلع الى الأستيلاء عليها عن طريق تعميق الخلافات الداخلية للبلدان الإسلامية درءاً لظهور أي ردّ فعل وطني وقومي ضدّها، وهي السياسة التقليدية الإستعمارية المعروفة بسياسة ((فرق تسد)). لذا نرى تزايد اهتمام الدراسات الإستشراقية في هذه الموضوعات لأن لها ما يسوغها. فقد كتب فان فلوتن الهولندي، مثلا عن الفتوحات الإسلامية وعن بعض العقائد في عصر الأمويين، وعن السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية وعن العباسيين وخراسان[2]. وكتب فنسك عن التصوف، وعن قيمة الحديث في الدراسات الإسلامية. وأنتج الإستشراق الألماني المستشرق نولدكه الذي ألّف تاريخ القرآن الكريم وكتب عن الرسول وفلهاوزن Wellhausen[3]، الألماني ودراساته عن ((محمد في المدينة))، ((والأحزاب المعارضة في الإسلام دينا وسياسة))، والسيادة العربية، والدولة العربية وسقوطها منذ ظهور الإسلام وحتى نهاية الدولة

---

(1) Fuck: " Islam as an historical problem" p. 309.

العقيقي ج٢ ص٧٣٩.

(٢) العقيقي ج٢ ص٧٢٤، كذلك Fuck البحث السابق ص ٣٠٩.

(٣) العقيقي ج٢ ص٧٦٤.

الأموية[1]، وكذلك هوروفيتس J.Horovitz الذي كتب عن الشيعة، وعن القرآن، وعن الإسلام والنصرانية، والمستشرق كارل بيكر Becker الذي كتب عن النصرانية، وعن الإسلام، وعن مسلمي أفريقيا، وعن الجدل العقائدي بين المسلمين والنصارى؛ وكراوس Kraws الذي كتب عن التصوف، وعن الاسماعيلية[2]. ومن الإستشراق البريطاني نشير إلى ما ألّفه المستشرق مرغليوث حول انتشار الإسلام، وعن الصوفية، وعن الحديث الشريف، وعن القرآن الكريم، والمستشرق السير توماس ارنولد Thomas Arnold الذي صنّف عدة تآليف منها ((الدعوة إلى الإسلام)) و((العقيدة الإسلامية))، و((الهندوسية والإسلام في الهند)) والكتاب الإسلامي. وهناك أيضاً المستشرق البريطاني ترتون Tritton الذي درس علم الكلام في الإسلام، وكتاب عن الإسلام وحماية الأديان، وكتاب عن الفقه الإسلامي، وكتاب عن المعتزلة، وكتاب عن الشيعة وكتاب عن أهل الذمة في الإسلام[3].

واعتنى الإستشراق الروسي أيضاً بهذا الحقل من الدراسات الإسلامية فنشير على سبيل المثال إلى دراسة كريمسكي حول تاريخ الإسلام، وبارتولد عن الصابئة والحنفية، وكاشتاليفا عن القرآن الكريم، والمستشرق شميدت Schmidet عن الإسلام والرسول، وكتابه عن الفقه الإسلامي[4]. ويتمثل هذا النوع من الدراسات بوضوح أيضاً في المدرسة الأمريكية للإستشراق كما هو الحال في الإستشراق البريطاني والألماني، فدرس آرثر جفري A.Jeffry القرآن الكريم، وألّف كتابا بعنوان حياة محمد، وترجّم نصوصا قرآنية، وعن القرآن الكريم، والجدل الإسلامي المسيحي، ودراسته عن نصارى مكة، وعن نبي الإسلام، واهتم فريد لاندر الدانمركي Friedlander وبرنو Brunnow بالفرق الإسلامية، وتخصّص ماكدونالد البريطاني المولد والأمريكي الجنسية D.B.Macdonald في علم الكلام والفقه فكتب عن علم الكلام في الإسلام، ومذاهب الفقه والفقه الإسلامي، وما هو الإسلام،

---

(١) آربري: المستشرقون البريطانيون ص ٢٥، العقيقي ج٢ ص٥٠٤-٥٣٨.

(٢) العقيقي ج٣ ص٩٤٥، ٩٤٦.

(٣) م.ن. ج٣ ص٩٩٥، ١٠٠١، ١٠٠٢.

(٤) ن.م. ج١ ص٢٣٠، ٢٣٥، ٢٤٤.

والتصوف الإسلامي والمسيحي[1]. والإستشراق الفرنسي هو الآخر اهتم بدراسة الفرق الإسلامية فكتب ارنوArnaue عن الصوفية والتصوف، وألف هوارت Huart عدة بحوث عن الدراويش في آسيا الصغرى، كما اهتم المستشرقون الفرنسيون بدراسة القبائل البربرية في شمال افريقيا نظير عمل دي لاشابيل de la chapel[2] في دراسته عن البربر.

مسألة أخرى تسترعي الإنتباه ونحن نتكلم على اتجاهات الدراسات الإستشراقية في توجهها نحو العقائد والدين الإسلامي وهي ظهور عدد من الدراسات حول الخلافة. ويتجلى هذا الإتجاه في الإستشراق البريطاني. ففي الربع الأخير من القرن التاسع عشر أنتج وليم موير Muir كتابه (الخلافة ظهورها وانحطاطها وأفولها)[3]، وأعقبه المستشرق السير توماس آرنولد إذ كتب كتابه الآخر المشهور (الخلافة)[4]، وكتب ترتون البريطاني كتابا عن الخلفاء ورعاياهم من غير المسلمين، وألف المستشرق السير هاملتون جب Gibbl ايضا عن الخلافة في الإسلام[5]، و تناول مرغليوث كذلكَ موضوع الخلافة. والظاهرأن كتابة هؤلاء المستشرقين عن هذا الموضوع لا يقصد به الكتابة عن تاريخ الخلفاء وسيرهم بل إنهم ركزّوا على مؤسسة الخلافة نفسها وما تعرضت له من تطوّرات سياسية والتشديد على وجهة نظر المحدّثين والفقهاء ومدى اختلافاتهم بالنسبة إلى هذه المؤسسة من الناحية الفقهية والشرعية. كما أنهم لم يحدّدوا دراساتهم على المدة الوسيطة من التاريخ الإسلامي، وهذا هو المهم بل واصلوا في ملاحقتهم هذه المؤسسة حتى المدة الحديثة، فوقفوا بالتفصيل على الخلافة والسلطنة خلال المدة العثمانية، وعلى اختلاف المذاهب الإسلامية في نظرتها نحو هذه المؤسسة.

---

(1) Fuck: P. 305; Dunlop: p. 327.

آربري المستشرقون البريطانيون ص ٢٢.

(٢) وطبع كتاب آرنولد The Caliphate أول مرّة عام ١٩٢٤ وأعيد طبعه عام ١٩٦٥ وترجم إلى اللغة العربية.

(٣) العقيقي ج٢ ص٥٥٣-٥٥٤.

(٤) وقد ترجّم (الأتجاهات الحديثة) إلى العربية نخبة من الأساتذة الجامعيين (بيروت ١٩٦١).

(٥) بيتر جران: المصدر السابق ص ٧٣.

فضلا عن توجّه الدراسات الإستشراقية إزاء هذا الموضوع من التاريخ الإسلامي فانه ومنذ ثلاثينيات القرن العشرين فصاعدا يلحظ المرء أنها أخذت وبشكل ملحوظ تتحول من دراسات عن القضايا والموضوعات التراثية المرتبطة بتاريخ الإسلام الوسيط إلى دراسة الإسلام المعاصر وفي عدد من البلدان الإسلامية. وهنا أيضاً نلاحظ بأن السياسة الإستعمارية قد وجّهت مثل هذه الدراسات إلى البلدان التي تعدّ مناطق نفوذها أو تلك التي تتطلع إلى تثبيت سيطرتها عليها. ويتمثّل هذا الإتجاه بصورة خاصة في مدرسة الإستشراق البريطاني والأمريكي والألماني والفرنسي. فالسير توماس آرنولد البريطاني كتب مثلا كتابا عن الهندوسية والإسلام في الهند، وألّف السير هملتون جب عن الإتجاهات الحديثة في الإسلام، وعن الديانة المحمدية، وعن التفكير الديني(1)، في الإسلام. وفي ١٩٢٧ تأسست في أمريكا مجلة الشرق الأوسط Middle East Jornal التي ركّزت على الدراسات المتعلقة بالشرق الأوسط، ونظّمت جمعية الإستشراق الأمريكي ندوة خاصة عن الإسلام كان من نتائجها أن وجد الإستشراق الأمريكي نفسه أمام حاجة متزايدة(2) إلى دراسات مركّزة عن التأريخ الإسلامي الحديث بدلا من الوسيط؛ فكتب ماكدونالد عن فكرة الروحانية في الإسلام، وكتاب (ما هو الإسلام) وكتاب (الدين والحياة في الإسلام) وتناول تشارلز آدمز Ch.Adams أتجاه التفكير في مصر والدين المقارن في جامعة الأزهر، وألّف واطسون Watson عن الإسلام(3). وسنقف مرّة أخرى على هذا الإتجاه في المرحلة التاريخية اللاحقة بسبب تصاعد أهميته. واهتم الإستشراق الفرنسي أيضاً بهذا الموضوع، فتركّزت دراسات المستشرقين على الإسلام في شمال إفريقيا في كتابات جوتيه Gautier عن الإسلام في موريتانيا والسنغال وغينيا وداهومي ونيجيريا، في دراسات مارتي Marty وكتب بيلليه Bellaire عن الخلافة في المغرب، والإسلام ودول المغرب، وعن الوهابية في المغرب، وبعض مظاهر الإسلام لدى البربر(4).

٤ـ وبرز خلال ثلاثينيات القرن العشرين إتجاه جديد في أغلب المدارس

(١) العقيقي ج٣ ص ٩٩٧، ١٠٠٤.

(٢) ن.م. ج١ ص٢٣٣، ٢٤٨، ٢٥١.

(٣) ن.م. ج٢ ص٦٦٧.

(٤) ن.م. ج٢ ص٧٢٤، ٧٦٢.

الإستشراقية متمثّلا بدراسة اليهود في المجتمع الإ سلامي، ونشاطاتهم الإقتصادية، والعلاقة بينهم وبين المسلمين. وقد أشرت في السابق إلى التطوّر الذي ظهر في أوربا ذلك المتعلق بظهور الصهيونية ومحاولة استغلالها العامل الروحي لنشر فكرتها العدائية الإستعلائية والشوفينية، وخير من مثّل هذا الإتجاه المستشرق البريطاني مرغليوث، في دراسته عن العلاقات بين العرب واليهود. والمستشرق الهولندي فنسنك الذي ألف عن موقف الرسول من يهود المدينة، وكذلك محمد واليهود، وعن الاسرائيليات في الإسلام، وعن الأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية[1]. وكذلك فان فلوتن، في كتابه السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، وكتابه الأمويون والإسرائيليات. ومن ألمانيا اشتهر فلهاوزن في كتابه عن تاريخ اليهود، وإسرائيل ولفنسون، في دراسته عن تاريخ اليهود في البلاد العربية في الجاهلية وصدر الإسلام، ودراسته عن موسى بن ميمون[2]، وعن كعب الأحبار. ومن أمريكا درس فنكل Finkle الإسرائيليات في القرآن ودرس إثر اليهودية والنصرانية والسامرية في البلاد العربية[3].

وقد ظهر ضمن هذا الإتجاه ولاسيما في مدرسة الإستشراق الألمانية ميل لدراسة شعوب منطقة الشرق الأوسط كتاريخ الأمة العربية، وتاريخ الفرس، وتاريخ الأتراك، وهو تطوّر ربما يرتبط بظهور النزعة القومية في ألمانيا خلال المدة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، فقد تخصّص كاسكل Caskel بالبدو[4] والقبائل العربية.

٥- ظلّ الإستشراق الألماني محافظا على اهتمامه بتاريخ العلوم عند العرب، فقد نشر المستشرق هيرشبرغ Hirschberg رسالة في (طب العيون)[5] لابن سينا، و(المنتخب في علاج أمراض العين) للموصلي، وكتب عن موضوع أطباء العيون عند العرب، كما كتب المستشرق لبمان E. Lippmann عن الحالات العلمية التي عالجها

---

(١) ن.م. ج٣ ص١٠٠٠.

(٢) ن.م. ج٢ ص٨٠١.

(٣) ن.م. ج٢ ص٧٣٢.

(٤) ن.م.

(٥) ن.م. ج٢ ص٧٦٠.

البيروني، وكتب كذلك بحثا عن نشأة الكيمياء، وآخر عن صناعة السكر[١]، ونشر فيدمان Wedemann كتاب الحيل لابن الجزري، ورسالة الكندي في موضوع المدّ والجزر، وكتب عدّة بحوث عن عدد من العلماء المسلمين، وظهر هذا الإتجاه في مدرسة الإستشراق الأمريكي، فلقد نشر كاربنسكي Karpinsky كتاب (الجبر والمقابلة) للخوارزمي، وكتب عن الأعداد الهندسية العربية، وعن تاريخ الحساب[٢]، ونشر المستشرق فاندايك Vandyck رسالة الرازي عن الجدري و الحصبة، وكتب في موضوع طب العيون، وأصول التشخيص الطبيعي، والأصول الجبرية[٣]، كما نشر المستشرق براون N. Brown مخطوطا عن الأعشاب الطبية. ومن فرنسا يمكن الإشارة إلى جويجه Guigues الذي كتب عن الطب العربي والصيدلة العربية[٤].

٦ـ ومن السمات الأخرى التي اتسمت به الدراسات الإستشراقية خلال هذه المدة إستمرار دور التبشير في الكتابة عن التأريخ العربي الإسلامي الوسيط، ويتمثّل هذا بصورة جليّة في كتابات الآباء الدومنيكان واليسوعيين، أمثال الأب جوسين Jausen الفرنسي الذي كتب عن النقوش والآثار القديمة في جنوب الجزيرة العربية، وكتب عن القبائل العربية. وهناك المستشرق المبشر المشهور هنري لامانس H.Lammens الذي أتقن اللغة العربية وكتب كثيرا عن موضوعات عدة من التأريخ الإسلامي السياسي والعقائدي، وألّف عن سوريا ولبنان ويعدّ من المستشرقين على الرسول وآل بيته والتراث الإسلامي والحديث الشريف[٥].

٧ ـ لقد أشرنا في عدّة مرّات إلى ارتباط الإستشراق الأوربي بالسياسات الأوربية وعلاقات الدول الأوربية الخارجية بالعالم الإسلامي، وأوضحنا ان تلك العلاقات تعد سمة من سمات الدراسات الإستشراقية خلال المرحلة التاريخية السابقة. وظلّت هذه العلاقات تؤدي دورا في توجيه الكتابات الإستشراقية في هذه المدة أيضاً. فكان

---

(١) ن.م. ج٣ ص ١٠٠١.

(٢) ن.م. ج٣ ص١٠٢٢.

(٣) ن.م. ج١ ص٢٣٨.

(4) Salibi: "Islam and Syria in the writings of Henri Lammens" p. 333-339.

(٥) العقيقي ج١ ص٢٤٧.

لويس مرسيه ضابطا فرنسيا ثم وزيرا مفوضا، وقد كتب عن تطوان والرباط، وكان ويلفرد بلنت دبلوماسيا بريطانيا زار نجد والعراق والهند وشمال أفريقيا، وكان لاندوا Landua قائد اتصال في القوت الجوية الملكية وخبيرا في وزارة الأنباء[١]. ومن أبرز الدبلوماسيين المستشرقين البريطانيين السير أرنولد ولسون Wilson والسير سايكس فالأول التحق بالجيش الهندي ثم نقل إلى القسم السياسي في الهند، ثم عيّن قنصلا في خرمشهر، ومساعدا ثانيا في بوشهر، وأخيرا نائب المبعوث السامي الانجليزي السير برسي كوكس، ومستشارا سياسيا في منطقة الخليج[٢]. وقد تركّزت كتاباته على الخليج والعراق. وقد أنشأ سايكس أول قنصلية في القرم وبلوجستان وعيّن قنصلا في تركستان وقائدا عاما في جنوبي إيران، وهو الآخر ركزّ اهتماماته على بلاد فارس والعراق[٣] وأفغانستان. أما في أمريكا فان بيتر جران يشير الى أن تزايد أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة إلى أمريكا من جهة وقلّة الاهتمام بالتاريخ العربي من جهة ثانية قد أدّيا إلى تزايد الطلب على المؤهلين في الدراسات الشرقية للقيام بخدمات ضرورية في الحرب. فالجيش كان يقوم بتكليف هؤلاء العلماء بمن فيهم أولئك الذين تخصّصوا في العصور[٤] الإسلامية الوسطى. وهذه شهادة واضحة على مدى ارتباط الإستشراق في هذه المرحلة التاريخية الهامة بالمخطّطات والمشاريع السياسية الخارجية للدول الأجنبية.

المرحلة الثالثة:

لم تقتصر النتائج التي خلّفتها الحرب العالمية الثانية على المتغيرات في الخارطة السياسية للعالم فحسب وإنما تجاوزتها إلى نتائج بالغة الأهمية على الأصعدة الإقتصادية والإجتماعية وحتى الحضارية؛ صحيح أن أبرز ما خلفته الحرب، موازنة بنتائج الحرب العالمية الأولى، تتمثل في زيادة الدمار والتخريب بإسدال الستار على القوى السياسية التي كانت تحتل مركز الصدارة في حسابات الإستعمار العالمي التي كانت تؤدي دورا عالمية في تسييرها الأحداث السياسية لصالحها وضدّا بمصالح

---

(١) ن.م. ج٢ ص٥٠٣.

(٢) ن.م. ج٢ ص٥٢٢.

(٣) ن.م. ج٢ ص٥٢٥.

(٤) بيتر جران ص ٧٢-٧٣.

الشعوب المسيطر عليها، وصحيح أيضا أن ألمانيا التي خاضت الحرب طرفا معاديا للدولة العظمى آنذاك وحلفائها، بريطانيا وكانت المنافسة القوية لها قد خرجت من هذه الحرب خاسرة وفاقدة لمواقعها الإقتصادية ومناطق نفوذها السياسية. لكن بريطانيا هي الأخرى لم تستمر طويلاً لتؤدي تلك الأدوار الإستعمارية الفعّالة وذلك لظهور بديل عنها على الساحة السياسية العالمية وهو أقوى عسكريا وماديا وله أطماع استعمارية توسعية ذلك هو الولايات المتحدة الأمريكية. ومع هذا لا ينبغي أن نغفل من الجانب الآخر تصاعد أهمية العالم الإسلامي إقتصاديا بالدرجة الأولى وإستراتيجيا في نظر الدول الأوربية الرأسمالية المتصارعة من جهة وبروز دور الشركات النفطية الإحتكارية في المخططات السياسية نتيجة من نتائج هذه الحرب من جهة ثانية وقوة تنامي حركة القومية والوطنية في المنطقة من جهة ثالثة.

لقد أثرت هذه المتغيرات في الدراسات الإستشراقية تأثيرا غير محدود وذلك بتوجيهها نحو الاهتمامات الجديدة الضرورية. والمتتبّع لما تم دراسته من دراسات المستشرقين في أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها، يكتشف ذلك بوضوح. فيذكر بيتر جران مثلا :- صار من الضروري على أمريكا وبعد الحرب العالمية الثانية، وكما طرحه المجلس الأمريكي للجمعيات العلمية إستحداث علم اجتماع لمنطقة الشرق الأوسط. وأن صانعي السياسة الأمريكية لم يكونوا يتوقعون حدوث الثورات التي وقعت في المنطقة العربية لذلك أضحت الدعوة ضرورية لاستحداث نوع جديد من الإستشراق، إستشراق يركّز على التاريخ الحديث والمعاصر للأمة العربية والإسلامية، لا كما هو الحال في ميادين الإستشراق التقليدي، الذي دأب يركّز على التأريخ الإسلامي[1] الوسيط فحسب. ومع سيادة هذا الإتجاه وتكثيف إسهاماته وتركيزه، فإن الإتجاه الإستشراقي القديم ظلّ يؤدي دورا مهما، وهو الآخر قد تأثر أيضاً بهذه التطورات السياسية والأيدلوجية فبرزت دراسات تمتّ بصلة إلى المدة الوسيطة لكنها تخدم الأهداف الجديدة في الوقت نفسه. وبالإمكان تشخيص إتجاهات الدراسات الإستشراقية خلال مدة الحرب وما بعدها بما يأتي :-

١ ـ تناقص اهتمام المدارس الإستشراقية بالدراسات اللغوية إلى درجة ملحوظة، ولكن الأمر في ألمانيا كان مختلفا إذ ظهر عدد من الدراسات المتعلقة باللغة العربية،

---

(١) ن.م. ص ٧٣.

ويقف المستشرق المشهور كارل بروكلمان على رأس القائمة. فصارت كتاباته مصدرا موثوقاً يعتمد عليها إذ كتب دراسة بشأن علمي النحو والصرف في العبرية، والآرامية، وعن قواعد اللغة العربية، وألّف حول المفصّل في علم النحو والصرف المقارن للغات السامية، ودرس ترتيب الهجائية العربية. وله بالإضافة إلى هذه المساهمات اللغوية عدّة دراسات وتحقيقات عن الحياة الأدبية العربية. فترجم بعض الكتب الأدبية إلى اللغة الألمانية (١٢١). وهناك أيضا المستشرق كريمر Kreamer وهو أستاذ اللغة العربية وله معجم اللسان العربي الفصيح، ودراسات في علم اللغة العربية وله المعاجم العربية القديمة. وتخصص المستشرق سبتالير Spitaler في الدراسات السامية وألّف فيها كتاباً كما أنه ألّف في اللغة العربية[١]. و ظهرمن المستشرقين السوفيت نفر من المستشرقين الذين اهتموا أيضاً بالدراسات اللغوية ومن بينهم يوخمالوف Youchmalov الذي كتب عن مطابقة الضّاد العربية بالعين الآرامية، ودرس قواعد اللغة العربية، وله أيضاً قواعد اللغة العربية من مخارج حروفها[٢] حتى تمامها.

٢ ـ مما تقدّم نلحظ أن عددا من المدارس الإستشراقية قد حوّلت من اهتماماتها تجاه دراسة التأريخ الإسلامي الحديث والمعاصر وهذا لا يعني اختفاء الاهتمام بالتراث الإسلامي والتاريخ الإسلامي خلال المدة الوسيطة. إذ إن المدارس الإستشراقية ظلّت مهتمة بالموضوعات التراثية، ففي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى انكماش فعالية الإستشراق الهولندي خلال هذه المدة بينما كان يتمتع بدور الريادة عندما كانت هولندا من القوى السياسية الكبيرة المتصارعة مع القوى الأخرى لفرض هيمنتها. ومن أبرز ما قدّمته هذه المدرسة من المستشرقن المستشرق كرامرز kramers الذي وجّه اهتماما ملحوظاً نحو موضوع الجغرافية الإسلامية والجغرافيين المسلمين[٣].

وبخلاف هولندا فقد بقيت ألمانيا محافظة على نشاطها واهتمامها بالشرق خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها، فانتج كارل بروكلمان دراسات عديدة عن موضوعات تراثية متعددة منها :- العلاقة بين كتاب الكامل للمبرّد والطبري وكتاب

---

(١) العقيقي ج٢ ص٧٧٨-٧٨٣.

(٢) ن.م. ج٢ ص٧٨٧.

(٣) ن.م. ج٢ ص٩٤٨.

((الوفا في فضائل المصطفى)) لابن الجوزي، وعن تاريخ الآداب العربية، وعن تاريخ الإسلام، وله تاريخ الشعوب الإسلامية وعددا آخر من البحوث والدراسات في دائرة المعارف الإسلامية. ومن المستشرقين الألمان الآخرين جريم Grimme الذي كتب كتاباً عن الرسول الكريم، وترجم القرآن الكريم إلى الألمانية، وهلموت رتر Ritter الذي كتب عن ابن الجوزي وعن الحسن البصري، وعن السهروردي[١].

وفي فرنسا لابد من الإشارة إلى كتابات المستشرق كلود كاهين Cl.Cahen عن المغول والصليبيين وعدد من التواريخ المحلية ككتاب العظيمي وتاريخ ابن شداد. وهناك أيضاً موريس كنارد Ganard الذي كتب عن الحمدانيين، وعن هجمات العرب على القسطنطينية، وعن العرب والروم. والمستشرق المشهور الآخر شارل يلّا Ch. Pellat الذي نشر عدداً من رسائل الجاحظ كالتبصر بالتجارة، والتربيع والتدوير، والبخلاء[٢]، وكتب كتاباً عن الجاحظ ومحيطه في البصرة وبغداد وسامراء ولا شكّ القول بأنه متخصص بدراساته عن الجاحظ وما خلّفه من تراث غنيّ. ومن بريطانيا نشير إلى ما أنتجه الفريد غليوم Guillaume من دراسات عن الحديث النبوي الشريف وسيرة النبي الكريم؛ والمستشرق الكبير السير هاملتون جب Gibb الذي عرف بثقافته الواسعة وكتاباته العديدة الشاملة لموضوعات تراثية وتاريخية كثيرة فلقد كتب عن فتوح العرب في آسيا الوسطى وهي الأطروحة التي نال بها الدرجة العلمية، وكتب عن تاريخ دمشق لابن القلانسي، وحقّق رحلة ابن بطوطة في آسيا وأفريقيا، وله دراسة موسومة بملاحظات عن مراجع الحروب الصليبية، وله أيضاً المصادر العربية لسيرة صلاح الدين الأيوبي، وله أيضاً الضرائب التي قرّرها الخليفة عمر بن عبد العزيز، مع العلم أن البروفسور جب قد استقر في الولايات المتحدة الأمريكية في جامعة هارفرد، وقد أسهم بصورة فعّالة في تنشيط الراسات الإسلامية فيها. وهناك أيضاً برنارد لويس B.Lewis الذي كتب عن العرب في التاريخ، وترجم نصوصاً تاريخية من مخطوطات وكتب إسلامية قديمة، وله مصادر التاريخ الإقتصادي للشرق، وكتب عن العباسيين والفاطميين وله عدّة مقالات ودراسات في دائرة المعارف الإسلامية الجديدة ومجلات عالمية أخرى. وكتب الأستاذ مونتغمري وات Watt عدّة مؤلفات عن الرسول الكريم أمثال محمد في مكة ومحمد في المدينة وله أيضاً في علم الكلام

---

(١) فقد حقّق كتاب صورة الأرض لابن حوقل، وأعاد نشر المسالك والممالك لابن حوقل.

(2) Salibi, Op. Cit. P. 338.

ودراسة عن المعتزلة فيكتابه (الحياة الفكرية في الإسلام)[1]. ومن أبرز ما أظهره الإستشراق السوفيتي فيكتور بليايف Beliayev الذي ألّف عن ابن خلدون، وعن أبي بكر الصولي، وله كتاب تاريخ الخلافة العباسية للصولي[2]، وله دراسة قيّمة عن (العرب والإسلام والحضارة الإسلامية)

٣- أخذت المدارس الإستشراقية بصورة عامة تتجه - في مجال تحقيق ونشر المخطوطات أو ترجمتها إلى لغات أجنبية مختلفة - نحو التركيز - بشكل أكبر من المرحلة السابقة - على تخصّص معيّن. فالمستشرق شتروسمان Shtrsmann من المانيا تخصّص بنشرالمخطوطات الزيدية، بينما ركّز المستشرق هورتين Horten على الرسائل والمخطوطات الفلسفية فنشر (نصوص الحكم) للفارابي وترجم (الشفاء)، و(ما وراء الطبيعة) لابن رشد. وحقّق هلموت رتر H.Ritter (مقالات الإسلاميين) للأشعري، و(مختلف الحديث) لابن قتيبة، (ومشكل القرآن) لابن قتيبة، و(أصلاح الغلط في غريب الحديث) للقاسم بن سلام.. ونشر وحقق المستشرق الألماني المعروف بتخصصه عن الفقه الإسلامي وهو شاخت Schacht بعض الرسائل المتعلقة بالفقه والشريعة الإسلامي ودرس البعض الآخر من أمثال: كتاب (الحيّل والمخارج) للخصّاف، (والحيل في الفقه) للقزويني، (والمخارج والحيل) للشيباني، وكتاب (الجهاد والجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء[3] لابن جرير الطبري.

وتخصص أكثر المستشرقين الفرنسيين بتحقيق أو دراسة أو ترجمة المخطوطات المتعلقة بسوريا ومصر وشمال أفريقيا، فقد أنتج الإستشراق الفرنسي مستشرقين مشهورين أمثال ماسنيون L. Massignon الذي نشر عدداً من المخطوطات عن الحلّاج والتصوف ودراسات عن المدن الإسلامية كالكوفة والبصرة، وله دراسات عن شخصيات إدارية شيعية في الإدارة العباسي. وترجم سوفاجية Sauvaget نصوصاً من

---

(١) وقد ترجّم كتاب شارل بلّا المشهور (الجاحظ محيطه في البصرة وبغداد وسامراء) إلى العربية، ينظر العقيقي ج١ ص٣٠٣، ٣٢٦.

(٢) وقد ترجّمت عدة كتب ومقالات من مؤلفات جب ولويس ووات إلى اللغة العربية وعن هذه المؤلفات ينظر العقيقي ج٢ ص٥٥١، ٥٦١، ٥٤٣.

(٣) له كتاب (العرب والإسلام والحضارة العربية) ترجم إلى الإنجليزية والعربية، وله بحث عن تاريخ العباسيين للصولي قدّمه إلى مؤتمر المستشرقين الدولي عام ١٩٥١.

كتاب الدرر المختارة لابن الشحنة وحقّق بغية الطلب لابن العديم، في الوقت الذي نشر شارل بلّا في دراساته عن رسائل الجاحظ أو المنسوبة إلى الجاحظ.

وفي بريطانيا تركزّت تحقيقات نيكلسون Nicholson على الرسائل والمخطوطات الصوفية فنشر مختارات من ديوان جلال الدين الرومي، وله (ترجمان الأشواق) لابن عربي، وترجم (كشف المحجوب) للهجوري. وتابع المستشرق البريطاني آربري Arberry مسلك أستاذه نيكلسون[١]، فدرس ونشر عدداً من المخطوطات والرسائل المتعلقة بالتصوف، فضلاً عن دراساته العديدة حول هذا الموضوع.

٤- لقد أشرنا في مرّات عديدة إلى اهتمام الدراسات الإستشراقية ومنذ مدة تاريخية مبكرة بميدان الفرق الإسلامية والمذاهب الإسلامية، لكن الملاحظ أن هذا الاهتمام قد تزايد كميّاً ونوعياً خلال مدة الحرب العالمية الثانية وما بعدها. وهو أمر مهم جداً لا شك في أنه يرتبط ارتباطاً ملحوظاً بالتطوّرات السياسية والفكرية وانتشار الوعي القومي والوطني في العالم الإسلامي كردٍّ فعل للسيطرة الأجنبية والإستعمار. ولعله من الممكن القول بأن أكثر المدارس الإستشراقية قد أولّت اهتماما واضحاً في هذه الموضوعات التراثية، وذلك لأن إثارة هذه المسألة أو بالأحرى تأجيجها تتضمّن أهمية كبيرة في نظر المستعمرين. فتخصّص شتروسمان Strothmann من ألمانيا بالزيدية والاسماعيلية وكتب عدّة كتابات عن هاتين الفرقتين، كما أنه درس وحقّق ونشر عدداً من المخطوطات الإسلامية المتعلقة بهما وبغيرهما من الفرق الإسلامية. وألّف المستشرق بروكلمان كتاباً عن الفرق الإسلامية، كما ألف فان دفّلين Van Diffelen من هولندا كتاباً عن عقيدة الوهابيين، بينما كتب كريمر Kremer وفان نيوفانهوجيس Nieuwenhujgze وزويتملدر Zoetmulder عن التصوف في جاوه[٢] وسومطرة. واشتهر الإستشراق الألماني المعاصر بمستشرقين أحتلّا مكانة بارزة في دراسة الاسماعيلية والفاطميين والشيعة وهما البروفسور هالم هاينز H.Heinz والبروفسور ولفريد مادلونك W.Madelung. وكانت مدرسة الإستشراق البريطانية من أبرز المدارس الإستشراقية في هذا الإتجاه إذ تناولت دراسات عدد غير قليل من المستشرقين البريطانيين الفرق الإسلامية والتركيز على بعضها دون البعض الآخر فكان

---

(١) العقيقي ج٢ ص٧٨٩، ٧٩٦، ٨٠٣.

(٢) آربري: المستشرقون البريطانيون، ص ٢٥، العقيقي ج٢ ص٥٢٥، ٥٥٧.

شتيرن Stern مهتماً بتاريخ القرامطة والاسماعيلية والفاطميين، فكتب عدداً من المقالات والبحوث ونشر عدداً من الرسائل والمخطوطات تتعلق بهذه الفرق. كما أن المستشرق برنارد لويس هو الآخر قد اهتم بفرقة الاسماعيلية كما أنه ألّف فيها عدداً من الدراسات والبحوث، وكتب كتاباً عن الحشاشين The Assassins[١]. بينما توجّه اهتمام نيكلسون وآربري اللذين المذكورين آنفا إلى الصوفية والتصوّف، وكتاباتهما ذائعة الصيت في هذا المجال. وأثارت الصوفية نفراً من المستشرقين الفرنسيين ومن أبرزهم الأستاذ ماسينيون الذي تأثر كثيراً بالتصوف الإسلامي وألّف عدداً من المؤلفات عن المتصوف الحلّاج، ومن المستشرقين الفرنسيين اللامعين هنري كوربان Corbin الذي تميّز بإنتاجه الثرّ عن التصوف والاسماعيلية. وفي الوقت نفسه فالملاحظ على الدراسات الإستشراقية الفرنسية أنها ركّزت على الجانب العنصري في شمال أفريقيا فأنتجت عدّة دراسات عن البربر. وفي أمريكا لابد من الإشارة إلى رنتز Rentz ودراسته عن أصول[٢] الحركة الوهابية، فضلا عن توافر العديد من المستشرقين الأمريكيين المحدثين الذين عنوّا عناية خاصة في حقل التشيّع الإمامي الإثني عشري سواء في التأليف أو في تحقيق الكتب الجامعة حول الشيعة والتشيّع. كما أنتج الإستشراق السوفيتي بعض المستشرقين المهتمين في هذه الموضوعات أمثال جوردليفسكي Gordlevsky الذي كتب عن النقشبندية، وبرتلس Bertels الذي ألّف عن التصوف والصوفية. ويعدّ إيفانوف W.Ivanow من أشهر المستشرقين المتخصّصين بدراسة الاسماعيلية إذ إنه بالإضافة إلى دراساته العديدة عن الاسماعيلية والعقيدة الاسماعيلية وعن الفاطميين، فقد نشر وحقّق عدداً من الرسائل الاسماعيلية[٣] وصار مصدراً موثوقاً يعتمد عليه في هذا الموضوع في المدارس الإستشراقية الغربية وأخضعت آراؤه للمناقشة والمحاججة.

٥ـ وشهدت الدراسات الإستشراقية في هذه المدة أيضاً تركيزاً أكثر كثافة من المدة السابقة بشأن موضوع اليهود وعلاقتهم بالعرب ونشاطاتهم الإقتصادية والإجتماعية

(١) العقيقي ج٢ص ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٥.

(٢) وقد ترجّم (الحشاشين) إلى اللغة العربية الدكتور سهيل زكار، وله كتاب أصول الدعوة الأسماعيلية ترجم إلى العربية أيضاً، وكتاب العرب في التاريخ وبحث عن الفاطمين والعباسين، والأصناف الإسلامية وغير ذلك كثير.

(٣) العقيقي ج٣ ص١٠٢٢.

والفكرية، ومن بين المستشرقين الألمان الذين كتبوا في هذا المجال المستشرق جريم Grimme فقد ألّف في موضوع الإسلام واليهودية[١]. وتناول المستشرق البريطاني الفريد غليوم إثر اليهودية في الإسلام، وله اليهود والعرب[٢]، وكتب سرجنت Serjeant بحثاً عن يهود المدينة، وله بحث عنوثيقة المدينة التي توصّل إليها الرسول الكريم لتنظيم العلاقة بينه وبين اليهود والمنافقين في المدينة[٣]. وساهم الإستشراق الامريكي مساهمة أكثر فاعلية من المدارس الأخرى في هذا المضمار إذ توجّهت دراسات عدد من المستشرقين نحو دراسة وكشف وثائق يهودية ترجع أصولها التاريخية إلى العصور الإسلامية الوسطى تلك التي تعرف بوثائق الجنيزا .Geniza وكشف هؤلاء العلماء من خلال هذه الوثائق عن صور حضارية مختلفة من نشاطات اليهود الإقتصادية والإجتماعية ومنهم فيشل W.J.Fischel الذي كتب عن (أصل المصارف في العصر الوسيط)، وألف كتاباً حول (تأثير اليهود في الحياة الإقتصادية والسياسية في الإسلام خلال العصر الوسيط) وله دراسة عن (اليهود في منطقة الخليج خلال العصور الإسلامية الوسيطة)، وله اليهود في كردستان، و(اليهود في خراسان) و(إذربيجان[٤] في التاريخ اليهودي)، أما المستشرق الآخر اليهودي كويتاين S.D.Goitein فإنه قد ساهم بعدد كثير من المقالات والبحوث والكتب التي تتعلق باليهود معتمداً بالدرجة الأولى على وثائق الجنيزا، فألّف كتاباً عن العلاقات بين العرب واليهود عبر العصور، وله كتاب بثلاثة أجزاء عنوانه مجتمع البحر المتوسط، الجزء الأول منه يتناول الأسس الإقتصادية، والثاني والثالث حول الموضوعات الإجتماعية والحرفية والتجارية والمهنية، كما كتب بحثاً عنوانه (نصوص عن المصارف ترجع إلى القرن الحادي عشر) يركّز فيها على نشاط اليهود، وله (الشركات التجارية والعائلية اليهودية في بلدان العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى)، وله وثائق من الجينزا القاهرية عن التاريخ الإجتماعي للبحر المتوسط،

---

(١) ن.م ج٢ ص٩٠٧ ومن أعماله (مرشد للأدب الاسماعيلي) (وتأليف لناصر الدين الطوسي)، وملاحظات على كتاب (أمّ الكتاب) وبحوث عن الإسماعيلية في دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) العقيقي ج٢ ص٧٦٠.

(٣) ن.م. ج٢ ص٥٤٣.

(4) R.B. Serjeant: "the Sunnah Jami 'ah, Pacts with Yathrib Jews and the translation Yathrib: analysis and translation of the documents comprised in the so called Constitution of Medina" in BSOAS (1978)pp.7-42.

وكذلك تجارة البحر المتوسط خلال القرن الحادي عشر وغيرها من الدراسات الجادّة[١]. وهناك أيضاً المستشرق جل M.Gill الذي كتب عن دستور المدينة والوثيقة التي وضعها الرسول لتوضيح العلاقة بين المسلمين واليهود، وله أيضاً (وثائق عن ترميم بيوت يهودية في الفسطاط[٢] في المدة الإسلامية الوسيطة). فضلاً عن ذلك كلّه فإن عدداً من المستشرقين اليهود أخذوا يؤلفون المؤلفات الخاصة عن اليهود ويجمعون وينظمون وينشرون الوثائق المتعلقة بنشاطاتهم وأحوالهم الإجتماعية والثقافية في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي في العصر الوسيط، فهناك تأليف شكد S.Shaked حول (بلوغرافيا لوثائق الجنيزا)[٣] وكتاب مان Mann عن (اليهود في مصر وفلسطين خلال المدة الفاطمية)، ومرغوليس Margolis في كتابه (تاريخ اليهود)[٤]، وبارون S.W. Baron في كتابه (التاريخ الإجتماعي والديني لليهود) في عشرة أجزاء[٥]. هذه النشاطات دون شكّ ترتبط ارتباطاً مباشراً بتوسّع المخطط الصهيوني الإستعماري بعد أن سلب الصهاينة بالتعاون مع بريطانيا وأمريكا جزءاً من الوطن العربي.

٦ـ في الوقت الذي تزايدت فيه اهتمامات المستشرقين بالفرق والمذاهب الإسلامية في المدة التي أعقبت الحرب الثانية، نلاحظ تزايداً متشابهاً في العناية بدراسة الإسلام المعاصر. وبالإمكان القول إن هذا الإتجاه يعد سمة بارزة في أغلب دراسات المدارس الإستشراقية الأوربية والأمريكية. والموضوعان، الفرق الإسلامية والإسلام المعاصر، يكمّل أحدهما الآخر فيما يتعلق بالتطوّرات السياسية العالمية ونهوض

---

(١) العقيقي ج٣ ص١٠١٧، ينظر عن الجنيزا دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) مقالة Geniza وقد نشر كتاباً عن (دور اليهود في الحياة السياسية والأقتصادية في التاريخ الإسلامي الوسيط) (لندن ١٩٣٧)، وكتاباً عن (اليهود في الخليج العربي) (نيويورك ١٩٥٠).

(٢) وقد نشر كتاباً عن (العرب اليهود) (نيويورك١٩٦٤)، وكتاباً عن (المؤسسات الإسلامية) طبع في ليون ١٩٦٦، (ومجتمع البحر المتوسط) وطبع في كاليفورنيا ١٩٦٧.

(3) M.Gil: The Constitution of Madina: a reconsideration" in BSOAS /1974; idem.

وله أيضاً

"Maintenance, Building Operations and in the houses of the Qodesh in Fustat" in JESHO (1971) Pp. 136-95.

(4) Shaked: A tentative bibliography of Genaza documents. Paris 1964.

(5) J.Mann: The Jews in Eygpt and in Palestine under the Fatimid Caliphs (Oxford 1920).

حركة التحرر الوطني والقومي والنهوض الإسلامي في المنطقة. والمهم أن هولندا التي أفل نجمها السياسي وضعف نشاطها في حقل الدراسات الإستشراقية قد أنتجت عدداً غير قليل من الدراسات التي تؤكد هذا الإتجاه، علماً بأن اهتمامات مستشرقيها قد انحصرت في منطقة جغرافية لها علاقة تاريخية ترجع إلى بداية تغلغلها واستعمارها لتلك المنطقة بمنطقة نفوذها السياسي أي منطقة الهند وجنوبي شرقي آسيا، إذ استمر إلى ما بعد الحرب الثانية. فكتب كريمر Kraemer عن الإسلام في الهند اليوم، وبشأن مجموعة صوفية في جاوة، ومطالب الإسلام الجديدة. وألّف زويتملدر Zoetmulder عن الصوفية الإسلامية في سومطرة، وكتب جوينبول Juynboll عن الإسلام في جاوة، وبكّر Bakker عن حضارة الإسلام في جاوه، وكتب فان دير ميولين Van Der Meulen حول الإسلام وأندونيسيا، وكتب رونكل Ronkel عن الإسلام في سومطرة، وله دراسة عن اعتناق اليهود والنصارى الإسلام في مالي[1]. ومن بريطانيا يمكن الإشارة إلى الكتابات العديدة التي كتبها المستشرق المشهور جب Gibb أمثال دراسته (ماهو الإسلام)، و(الإتجاهات الحديثة في الإسلام)، (والديانة المحمدية)، (والتفكير الديني في الإسلام)، والملاحظ أنه أنجز غالبية هذه الأعمال حينما انتقل للعمل في أمريكا. وتؤدي مدرسة الإستشراق الأمريكية دوراً بارزاً في هذا المجال إذ إنها بالإضافة إلى ما ظهر فيها من دراسات عن الإسلام فقد عقدت مؤسساتها وجمعياتها العلمية الندوات والمؤتمرات حول هذا الميدان. فعقدت أكثر من ندوة ومؤتمر عن الإسلام منذ خمسينيات هذا القرن نظير ندوة عقدت في كاليفورنيا في صيف ١٩٧٨ بشأن مجتمع البحر المتوسط، وعقدت خلال شهر حزيران من سنة ١٩٧٩. وقبل هاتين الندوتين عقدت ندوة في أواخر الستينيات عن مدن الشرق الأوسط. ومع أن أوراق هذه الندوة قدانقسمت على ثلاث حقب تأريخية قديمة ووسيطة وحديثة فإن أغلب التركيز كان على وضع المدينة العربية الحديثة[2]. فضلاً عن ذلك هناك دراسات عن التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر أخذت تحظى باهتمام واسع من قبل الجامعات الأمريكية في كاليفورنيا وشيكاغو وواشطن ونيويورك ونيوجرسي فقد تأسس في جامعة جورج تاون مثلاً مركزا للدراسات العربية والإسلامية المعاصرة يتضمّن عدّة مقرّرات تتناول القضايا التراثية الإسلامية خلال الفترات الوسيطة

---

(1) S.W.Baron: A Social and religious history of the Jews (New York 1957).

(٢) العقيقي ج٢ ص٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٦.

والحديثة. ويوجد في واشنطن معهد لدراسات الشرق الأوسط، وهناك معهد آخر يضمّ عدداً من المتخصصين بشؤون الشرق الأوسط في نيوجرسي، ومن أبرز المستشرقين الأمريكان جوستاف فون غرونبارم Van Grunebaum الألماني الأصل الذي كان يعمل في جامعة هارفرد وكتب عدّة مساهمات عن الإسلام عن العصور الوسطى، وله حركة الإصلاح في الإسلام، وله كتاب بعنوان المخمدية أي المسلمون، وكتب عن الإسلام والثقافة اليونانية والإتجاهات الإسلامية، وله بحث عن بنية المدينة الإسلامية(١)، وله المدينة الإسلامية والمدينة الهيلينية. ولقد أثرت آراؤه في الكتابات الأمريكية الإستشراقية اللاحقة وعلى الفرد الأمريكي تأثيراً غير قليل. وبصورة مختصرة فإنه بالإمكان القول بأن غرونباوم يشدّد على تأثير الحضارة اليونانية على الحضارة العربية الإسلامية، وهو يعدّ الأخيرة أحد الأشكال الإشتقاقية للحضارة الهيلينية. وتظهر آراؤه هذه في كتابه عن الإسلام في العصور الوسطى وبحوثه عن المدينة الإسلامية. وهناك أيضاً رنتز Rentz الذي ألّف في أصول الحركة الوهابية من وجهة نظر الدين الإسلامي، وبحث عن المملكة العربية السعودية الوطن الروحي للعالم الإسلامي. وهناك المستشرق السياسي Ph.W.Ireland الذي كتب عن الإسلام في العالم الحديث. ولنكولن Lincoln في كتابه عن المسلمين السود في أمريكا، وصموئيل زويمر Zewemer الذي ألّف عن المسلمين اليوم، وله الإسلام في العالم، وكتب عن الإسلام في جنوب أمريكا، وله الإسلام في الهند، وله الإسلام في أفريقيا، وله الإسلام في جنوب أوربا، وكتب عن الإسلام في مدغشقر، وله الإسلام في الصحراء)(٢).

وأنتجت مدرسة الإستشراق الفرنسية عدداً من الدراسات عن قضايا إسلامية إجتماعية واقتصادية حديثة ومعاصرة فكتب لوبينيا Loubignia حول تقسيم التركة في الإسلام، وألف بولياك Poliak عن الإقطاع في الإسلام، ودرس مكسيم رودنسون Rodenson الإسلام والإشتراكية، وكتب جاك بيرك أستاذ التاريخ الإجتماعي

---

(١) وقد جمعت أوراق هذه الندوة وطبعت من قبل الأستاذ Lapidus تحت عنوان (Middle EasternCities) في سنة ١٩٦٩.

(٢) بيتر جران: ص ٧٥، العقيقي ج٣ ص ١٠٢٠، ينظر بحث

وله أيضاً: .The Structure of the Moslim Town" in Islam (London 1961) pp. 145-7"

Idem "The Muslim Town and the Hellenistic Town" in Seientia (1955).

للإسلام المعاصر في كولج دي[١] فرانس عن الإسلام من الأمس إلى الغد.

٧- إستمر اهتمام المدارس الإستشراقية بالتراث العلمي في الحضارة الإسلامية وبقيت ألمانيا تحتل المكانة البارزة في هذا الإتجاه فبرز من مستشرقيها مثلاً بول كراوز P.Kraws الذي كتب عن جابر بن حيان ونظرياته العلمية، وله دراسة عن الطب الروحاني على الرغم من شهرته أيضاً بكتاباته المتعددة عن الفلسفة الإسلامية. وهناك أيضاً ماكس مايرهوف M.Meyerhof الذي نشر وحقّق كتاب (الصيدنة) للبيروني، (وشرح أسماء العقار) لأبي عمران موسى، ورسالة التشريح لحنين بن أسحق، والمرشد في الكحل للغافقي، وعشر مقالات في العين لحنين بن أسحق، والملاحظات السريرية للرازي وغيرها من البحوث والدراسات والتحقيقات. وهناك روسكا Ruska الذي ترجم رسالة الأحجار من كتاب عجائب المخلوقات لزكريا القزويني، ورسالة الأمام جعفر الصادق في علم الصناعة والحجر الكريم، وحقّق الأكسير لابن سينا، وكتب عدّة مساهمات عن الكيمياء الإسلامية والرياضيات لعلماء مسلمين. وهناك أيضاً (آرديجن R.Degen) الذي نشر وحقّق رسالة في الأغذية لحنين بن اسحق. وزيمرمان Zimmermann الذي درس رسالة عنوانها دستور المنّجمين، وبول كونيتزش Kunitzsch[٢] الذي كتب عن العالم الإسلامي أحمد بن محمد نجم الدين المعروف بابن الصلاح وحقّق كتاب المجسطي. ومن بريطانيا نودّ الإشارة إلى الدكتورة نانسي كالاجاهر N.Gallaghe وما كتبته عن الطب[٣] الإسلامي، ونشرت وحققت أيضاً رسالة في الكوليرا. وهناك دونالد هل D.Hill المهندس الذي تخصص بالميكانيكيا الإسلامية وألّف عدداً من الكتب والدراسات في هذا المجال أمثال كتاب في التعريف عن بعض المشاريع الميكانيكية الإسلامية، والتكنولوجيا الميكانيكية في الحضارة الإسلامية، والساعة المائية، وكتب عن الجزري الميكانيكي المسلم، والميكانيكيا الإسلامية[٤] في المدة الوسيطة، وله دراسة عن بني موسى وهم علماء

(١) العقيق ج٣ ص١٠٠٥، ١٠١٨، ١٠٢٤.

(٢) ن.م ج١ ص٢٥٤، ٣١٥.

(٣) ن.م ج٢ ص٧٦٧، ٧٧٦.

(4) N.Gallaghar: " Arabic Medicine on the Eve of European Expansion.

ورقة قدّمت إلى الندوة العالمية الأولى عن تاريخ العلوم عند العرب التي عقدت في حلب نيسان ١٩٧٦.

الميكانيكيا الإسلامية.

ومن أمريكا نشير إلى الدكتور سامي حمارنة العربي الأصل وكانت اهتماماته مكثّفة في مجال الطب العربي، والدكتور ليمي رتشارد Richard الذي كتب عن أحمد بن يوسف المنّجم، وجون موردوج Murdoch الذي كتب عن الرياضيات العربية، وجورج صليبه G.Saliba(١) المتخصص في علم الفلك عند المسلمين.

٨- إستمر إلى حدّ ما تأثير التبشير في بعض الدراسات الإستشراقية، إذ كان نصيب الرهبان الدومنيكان بارزاً، فالأب بيريكويل Bearecueil الفرنسي الذي نشر وحقّق عدداً من الرسائل عن التصوف، وكتب الأب جاك جوميه J.Jomier كتاباً حول الإتجاه الحديث في تفسير القرآن في مصر، وله التعليم في المدرسة القرآنية، ودراسة نصيب القرآن في الحياة اليومية بمصر، وله نصارى ومسلمون(٢).

وهناك أيضاً المبشر الأمريكي الذي أتينا على ذكره عدّة مرات صموئيل زويمر Zewemer وكان مبشراً نشيطاً متعصّباً كتب عن العلاقة بين المسيحية والإسلام، وله يسوع في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وألّف عن بلاد العرب مهذ الإسلام، وله الإسلام في العالم، وله أوائل المسلمين في الصين، وله الإسلام في أفريقيا وغير ذلك كثير(٣).

لقد ظل دور المستشرق السياسي يتمثل ببعض مستشرقي مدة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ففي أمريكا مثلاً أخذت تظهر التأثيرات الصهيونية على كتابات عدّد من المستشرقين، فكان آيرلند Ireland مساعدا لمدير مكتب الشرق الأوسط والشؤون الأفريقية وصار بعد ذلك في السفارة الأمريكية بالقاهرة وبغداد ثم صار في وزارة الخارجية(٤). وظهر في المانيا عدد من الخبراء السياسيين والمؤرخين المهتمين

(1) Donald Hill: " Medieval Arabic Mechanical Technology"

ورقة قدّمت إلى الندوة العالمية الأولى عن تاريخ العلوم عند العرب.

(2) G.Saliba: "Computational Techniques in Late Medival Islamic Astonomical Tables"

ورقة قدّمت إلى الندوة العالمية عن تاريخ العلوم عند العرب.

(٣) العقيقي: ج٣ ص١٠٥٤.

(٤) ن.م ج٣ ص١٠٠٥.

بالشرق الأوسط والدراسات الشرقية.

ونخلص الى القول بأن ما تمّ تتّبعه من مراحل تاريخية تطوّرية مرّت بها الدراسات الإستشراقية بخصوص التاريخ الإسلامي الوسيط يشير بوضوح إلى ثبوت الارتباط القوي لتلك التطوّرات والإتجاهات بالمصالح الأوربية والأمريكية في العالم الإسلامي بصورة عامة؛ وهذا الإستنتاج لا يتعارض مع ما توصّل إليه بعض الكتّاب العرب المحدثين من تصنيف المستشرقين بالنسبة إلى مواقفهم وتفسيراتهم لقضايانا المعاصرة ولتاريخنا وتراثنا الإسلامي الوسيط والحديث والمعاصر، بقولهم إن هناك مستشرقين معادين وآخرين مؤيدين. فكان جريم، وبريدو، ولامانس، وجولدتسيهر اليهودي الهنغاري وصموئيل زويمر ممن يمثل الصنف الأول، بينما وضع توماس آرنولد وشاخت ومونتغمري وات وتوينبي وغيرهم إلى جانب الصنف الثاني. أقول ليس هناك من تعارض فيما قدّمناه لأنه حتى أولئك الذين نصفهم بأنهم منصفون في تناولهم تاريخنا وحضارتنا هم يمثّلون أيضاً في بعض دراساتهم إتجاهاً سياسياً. فيذكر بيتر جران أن العلاقات العربية الأمريكية قبل الحرب العالمية الثانية كانت بوجه عام أفضل من العلاقات بين العرب والبريطانيين والفرنسيين، وهذه العلاقات الطيبة قد برزت في الدراسات الأكاديمية الإستشراقية فلم تصدر في الولايات المتحدة مثلاً دراسات أكاديمية معادية للعالم العربي والإسلامي أو تنطوي على كراهية للتراث الإسلامي. بينما تعد كتابات لامانس الفرنسي وفي المدة نفسها معادية للتاريخ الإسلامي الوسيط[١]. كذلك كانت كتابات عدد من المستشرقين الإنجليز عن الجزيرة العربية والعراق.

(١) ن.م ج٣ ص١٠١٨.